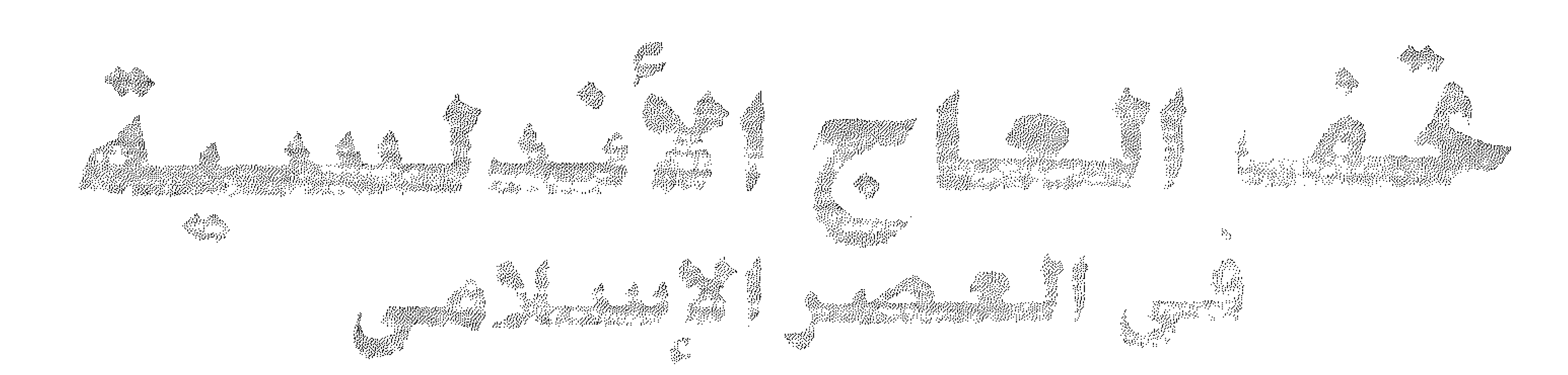


الدكتور

السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة والآثار الإسلامية

ومدير معهد دراسات البحر المتوسط بكلية الآداب جامعة الإسكندرية

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

ت : ٤٨٣٩٤٧٢

تحف العاج الأندلسية
فى العصر الإسلامى

للدكتور

السيد عبد العزيز سالم

استاذ التاريخ الاسلامى والحضارة والآثار الإسلامية

ومدير معهد دراسات البحر المتوسط بكلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعتبر العلب والصناديق العاجية الأندلسية من أروع وأجمل التحف المخصصة لحفظ الحلى وأدوات التجميل والزينة التى تحتفظ بها نساء الطبقة الخاصة فى مجتمع الأندلس ، وتخصص لها أماكن مميزة في الدور والقصور لما تشتمل عليه من نقوش نباتية وآدمية وصور تمثل مظاهر الحياة الإجتماعية فى القصور والمتنزهات على وجه الخصوص ، أو مناظر تمثل مبارزات بالسيف أو صيد للوحوش بالصقور والشواهين ، بالإضافة إلى نقوش كتابية تتضمن أسماء من صنعت لهم من نساء الأمراء والخلفاء، ومن تولى الاشراف على صناعتها والتاريخ الذى صنعت فيه . وهى لهذا السبب تعتبر وثائق تاريخية وحضارية هامة تعين الباحث فى تاريخ الفن الإسلامى على تتبع مراحل التطور الذى تعرضت له زخارف التوريق فى عصر الخلافة الأموية بقرطبة وعصر دويلات الطوائف ، كما تفيده فى التعرف على بعض مظاهر الحياة الإجتماعية فى هذا العصر سواء فى البلاط الأميرى أو الخلافى أو لجوانب غير معروفة من المجتمع الأندلسى كطرق صيد الوحوش وأنواعها وملابس الصيادين والمبارزات الحربية وأسلحتها، ومجالس الطرب التى طالما عقدها الأمراء والخلفاء وذوو السلطان فى البساتين والمنيات ، وآلاتها المختلفة من دفوف وأعواد وقيثارات ، هذا بالإضافة إلى التعرف على الأزياء المستخدمة عند الخاصة والعامة وطرائق تصفيف الشعر عند الرجال والنساء[1] .

---

(١) أفدت شخصياً من نقوش العلب وصناديق العاج الأندلسية فى وصف بعض مظاهر الحياة الإجتماعية فى الأندلس فى القرنين الرابع والخامس فى بحث عنوانه : صور من المجتمع الأندلسى فى عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة فى علب العاج ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد التاسع عشر ، مدريد ١٩٧٦ - ١٩٧٨ ،ص ٦١ - ٨٣ .

كل ذلك كان مبرراً لإقدامى على الكتابة فى هذا الموضوع ، لاسيما وأن المكتبة العربية تفتقر إلى هذا النوع من الدراسات الفنية ، كما دفعنى إلى الكتابة فيه أن الباحثين الإسبان الذين اهتموا بدراسة العلب العاجية فى الأندلس ، لم يتعمقوا فى دراساتهم لهذه التحف بالقدر الذى تستحقه ، كما أنهم لم يتوصلوا فى كثير من الأحيان فى قراءاتهم للنقوش الكتابية إلى القراءة الصحيحة ، وبالتالى اختلت تفسيراتهم لهذه الأسماء . وكان لزاماً علىّ أن أعيد قراءة هذه النقوش على نحو صحيح ، وأعرف بأصحابها ، وأبرز مكانتهم فى المجتمع الأندلسى ، وأقارن بين النقوش الزخرفية فى هذه العلب ونظائرها فى الأحواض الرخامية التى تم الكشف عن أجزاء منها فى المواقع الأثرية بقرطبة ومدينة الزهراء ، بل ونظائرها الفاطمية الممثلة فى النقوش المحفورة على اللوحات الخشبية التى كانت تطوق بعض قاعات القصر الفاطمى الشرقى بالقاهرة، وكذلك فى نقوش مشابهة بالمشرق الإسلامى مستهدفاً إبراز التيارات الفنية المشرقية التى أثرت فى فن زخرفة هذه التحف العاجية من خلال بعض التشكيلات التى شاع استخدامها فى المشرق ، وانتقلت بعد ذلك إلى الأندلس منذ أن تفتحت أبوابها على مصاريعها لتلقى هذه التأثيرات فى عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط .

وقد تتبعت بالدراسة التفصيلية أربعة وعشرين نموذجاً للتحف العاجية التى وصلت إلينا من إنتاج دار الصناعة بقرطبة ومدينة الزهراء وقونكة مسترشداً بالبحوث القيمة عن العاج الأندلسى التى أسهم بها الباحثون الإسبان وعلى رأسهم خوسيه فرّاندس ، وبلدوميرو مونتويا تيخادا .

أرجو أن أكون قد أضفت بهذا البحث إلى المكتبة العربية عملاً علمياً يسد فراغاً فى مجال الدراسة الفنية والأثرية ، والله يوفقنا إلى ما فيه الخير لأمتنا العربية والإسلامية .

المؤلف

الإسكندرية فى أول أكتوبر ١٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

العاج واستخدامه فى صناعة تحف الزينة بالأندلس فى العصر الاسلامى

تمهيد :

يعتبر العاج من المواد النادرة التى استخدمت عبر حقب التاريخ فى صناعة بعض أدوات الزينة كالعلب المخصصة لحفظ الحلى والأمشاط ، وصناعة التماثيل الصغيرة ومقابض المدى والسيوف وأرجل الأرائك [1] ، أو فى تطعيم بعض التحف المصنوعة من الخشب كالكراسى و الأسرة ومصاريع الأبواب والمنابر . ويتميز العاج بليونته فى النقش وسهولة الحفر فيه ، بخلاف العظم الذى يجد النقاش صعوبة فى نقش زخارفه عليه ، لا سيما الصور الآدمية والحيوانية التى تستلزم دقة فى الأداء ، لصلابته . ولم يكن من السهل الحصول على العاج ، فهو ليس من المواد الخام التى يسهل الحصول عليها من باطن الأرض أو فى الصخور المعدنية كالذهب والفضة والحديد والنحاس ، أو يمكن التماسه فى بعض المنتجات الزراعية كالخشب وألياف الكتان والنارجيل ، فمصدره قاصر على أنياب الفيلة التى لا تتوفر الا فى أعماق القارة الأفريقية أو فى الهند ، ولهذا السبب عد لندرته وصعوبة الحصول عليه من المواد النفيسة .

وكان العاج من المواد الصناعية القيمة التى أقبل المصريون القدامى على استخدامها فى الأغراض الزخرفية ، ويضم المتحف المصرى بالقاهرة أمثلة عديدة

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية فى مصر قبل الفاطميين ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص٩٦

رائعة من التحف العاجية التى أسفر عنها التنقيب فى المواقع الأثرية [٢] المختلفة، كما شاع استخدامه فى الفنون الصناعية عند البيزنطيين [٣]، وورث الأقباط هذه الصناعة فى مصر من أجدادهم الفراعنة ، وواصلوا ممارستها فى العصر البيزنطى ، ويضم المتحف القبطى بالقاهرة أمثلة من التحف العاجية بلغت زخارفها الغاية فى الروعة والدقة والاتقان ، وقوامها أوراق العنب وفروعه المتموجة .

وفى العصر الاسلامى نهج الصناع المسلمون نهج البيزنطيين فى استخدام العاج لصناعة تحف الترف والزينه ، ولكنهم ادخلوا فى أشكالها وفى تفاصيل زخارفها الكثير من التطور ، فجعلوا الغطاء المسطح للعلبة مستطيلة الشكل على شكل « التركيبة المقبرية » اذا صح هذا التعبير أى على شكل هرم ناقص ، كما اتخذوا للعلب أسطوانية الشكل غطاءات مقببة أو نصف كروية يتوسطها من أعلاها نتوء على شكل ثمرة صنوبرية أو برعم ، بعد أن كانت هذه الغطاءات مسطحة . ومعظم ما وصلنا من التحف العاجية الاسلامية مصدره الأندلس ، اذ كانت تحتفظ بها الكنائس والاديرة فى الأندلس فيما بين النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى الى النصف الثانى من القرن الخامس أى فى عصر الخلافة الأموية ودويلات الطوائف ويمثلان العصر الذهبى لفن صناعة التحف العاجية فى الأندلس ، ومع ذلك فقد تابعنا الحديث عن بعض الأمثلة المتأخرة للتحف العاجية فى الأندلس وصقلية كخاتمة لابد منها لموضوع الدراسة .

ويقتصر معظم نماذج التحف العاجية فى مصر الاسلامية بالاضافة الى تحف العاج الكاملة على تطعيم الحشوات الخشبية بالعاج ، و من أمثلة الحشوات

---

(٢) المرجع السابق

(٣) ستيفن رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، رقم ٣٧٩ من مجموعة الألف كتاب ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

العاجية التى تم الكشف عنها فى حفائر الفسطاط ويحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (من العصر الفاطمى) حشوة نقشت عليها صورة امراة داخل هودج يحمله جمل ، وصورة محارب يمسك في يده رمحا ، وصورة بازدار يمتطى صهوة جواده ويحمل على ذراعه صقراً (٤) ، بالاضافة الى قطع صغيرة من حشوات ، على احداها نقش يمثل رجلا يحمل رمحا فى يده ، ويبدو أنه كان يطعن به حيوانا مفترسا فقدت صورته من الجزء الضائع من الحشوة(٥)، وتحمل بعض حشوات أخرى صورا آدمية وحيوانية وطيور ، منها حشوة تحمل نقشا يمثل طاووسا بأعلى الحشوة وغزالا بأدناها ، وأخرى تتمثل فيها صورة عواد يعزف على عوده ، وثالثة سداسية الضلوع تحمل نقشا يمثل حيوانا خرافيا مجنحاً، ورابعة سداسية الضلوع أيضا تحمل نقشا يمثل رجلا متربعا ينفخ فى مزمار (٦) ، وبمتحف برجيللو Bargello بفلورنسه بضع حشوات من صندوق عاجى يحمل بعضها نقوشاً دقيقة تمثل مجلس طرب وأنس ، أو منظر صيد يغلب عليه الطابع الشرقى ، وتحمل إحداها نقشا لعقابين متقابلين على مهاد من الفروع النباتيه التى تتدلى منها عناقيد العنب وتوريقات قوامها مراوح نخيلية ، وصورة صياد يطعن أسداً يهم بافتراسه ، وقد اخترق الرمح عنق الأسد ، ومن

---

(٤) معرض الفن الاسلامى فى مصر ٩٦٩م الى ١٥١٧ م ، منشورات وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، تحفة رقم ٣٣ ، ص ٥٨ ، وانظر الصورة الفوتوغرافية فى : على بهجت ، حفريات الفسطاط (مجموعة المناظر الفوتوغرافية) ، القاهرة ، ١٩٢٨ لوحة رقم ٢٨ ، وهذه الحشوة عثر عليها فى الفسطاط فى سنة ١٩١٨ ، ويبلغ ارتفاعها ١٦ سم ، وطولها ٤ سم ، ويرجع تاريخها الى القرن الخامس الهجرى .

(٥) على بهجت ، المرجع السابق ، لوحة رقم ٢٨ ، وانظر زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ٢٢٥ .

(٦) على بهجت ، المرجع السابق ، لوحة رقم ٢٨

المرجح أن هذه الحشوات من صناعة صقلية فى القرن السابع الهجرى (٧).

ومن أمثلة الحشوات العاجية التى تدخل فى عداد التحف العاجية الفاطمية حشوتان فى متحف اللوفر تزدانان بصور تمثل راقصا وبازدارا وصيادا يحمل صقرا على مهاد من التوريق ، وتشبه نقوشهما النقوش المحفورة فى اللوحات الخشبية التى تنسب الى القصر الفاطمى والتى يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى(٨)، وكذلك نقوش الحشوات العاجية الفاطمية سالفة الذكر .

ومن التحف العاجية التى تخرج عن دائرة الحشوات أبواق الصيد التى تكسو أبدانها نقوش تمثل مناظر صيد ، داخل دوائر أو أشرطه ، يغلب عليها جميعا الطابع الفاطمى ، ومن المرجح أنها صنعت فى صقلية على أيدى صناع مسلمين ربما بعد سقوط صقلية فى أيدى النورمان ، ويحتفظ متحف اللوفر بباريس بعدد من هذه الأبواق حفرت عليها صور أرانب وظباء ، وترجح الدكتورة سعاد ماهر نسبتها الى مصر الفاطمية (٩) ، وبمتحف المتروبوليتان أربعة أبواق تزدان بأشكال طيور وحيوانات داخل دوائر قوامها سيقان نباتيه لولبية متشابكة (١٠) ،

(٧) ترجح الدكتورة سعاد ماهر فى ثقة واطمئنان أنها من صناعة مصر فى العصر الفاطمى ، على الأقل بالنسبة لست من تلك الحشوات التى تكون جزءا من احدى العلب العاجية مستطيلة الشكل ، وذلك لتشابهها الكبير فى الأسلوب الفنى وفى الموضوعات بالنقوش المحفورة على اللوحات الخشبية الفاطمية التى تم العثور عليها فى بيمارستان قلاوون (سعاد ماهر محمد ، كتاب الفنون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٢٠٦). ولكن الدكتور زكى محمد حسن يعتقد أنها من صناعة صقلية فيما بين القرنين السابع والثامن للهجرة (زكى محمد حسن ، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص١٤٤) .

(٨) نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ص ٩٠ .

(٩) سعاد ماهر ، الفنون الاسلامية ، ص ٢٠٥ ، وانظر زكى محمد حسن ، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ، ص ١٤٤ .

(١٠) م . س . ديماند ، الفنون الاسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، القاهرة، ١٩٥٨ ، ص ١٣٥ .

ومن التحف العاجية أيضا علب صغيرة الحجم على شكل صندوق مستطيل الشكل غطاؤه على شكل هرم ناقص أو ما يسمى بالتركيبة المقبرية ، تزدان جوانبه وغطاؤه بنقوش مشابهة لزخارف أبواق الصيد ، بعضها محفوظ بمتحف برلين ، وبعضها فى متحف المتروبوليتان أو متحف فكتوريا وألبرت ، والعدد الأعظم منها تحتفظ به بعض الكاتدرائيات والكنائس والمتاحف الاسبانية . ومن نماذج العلب العاجية ما يتخذ شكلا أسطوانياً غطاؤه مقبب ، ومعظم ما وصلنا من هذا النوع من العلب أسطوانية الشكل مصدره الأندلس ، وهو ما سنتحدث عنه فيما بعد ، ويحتفظ القسم الاسلامى بمتحف الدولة ببرلين بعلبة من العاج نقشت عليها صور حيوانات وطيور بين توريقات ، كما تحتفظ كاتدرائية ورتزبرج بصندوق خشبى كسيت جوانبه بصفائح رقيقة من العاج نقشت عليها أشكال دوائر بداخلها صور حيوانات وطيور بالاضافة الى رسوم عقود يجلس بداخلها رجال بين عازفات وبينهن أمير يجلس على سرير . ويحتفظ القسم الإسلامى بمتحف الدولة ببرلين بعلبة من العاج أسطوانيه الشكل يغلب على الظن أنها فاطمية ، نقش على قاعها من الداخل رسم لطائرين وفرعين من النبات باللونين الاسود والأصفر [١١] . ومن بين التحف الفاطمية المصنوعة من العاج صندوق عثر عليه ببلدة القريون من نواحى بلنسية بشرق الأندلس ، يحتفظ به اليوم متحف الآثار الوطنى بمدريد ، يزدان بزخارف ملونه فى أطراف كل جوانبه ، وبأدنى غطاء الصندوق المسطح نقش كتابى بالخط الكوفى الجميل يدور حول أطراف اللوحة ترك بلونه الابيض على أرضية ملونه باللون الاحمر بين أشرطة أو خطوط باللون الأخضر [١٢] ونطالع فى النقش الكتابى النص التالى:

---

(١١) زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ٢٣٠ .

(١٢) Migeon (Gaston): Manuel d'Art Musulman, t. II, Paris, 1907,p .138 وانظر

زكى حسن ،كنوز الفاطميين ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ - سعاد ماهر ، الفنون الاسلامية ، ص٢٠٥.

(بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الامام المعز (لدين الله) أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطيبين وذريته الطاهرين مما أمر بعمله بالمنصورية المرضية . . صنعه أ . . د الخراسنى) (١٣)

وواضح من هذا النص أن العلبة فاطمية الصنع ، وأنها صنعت بمدينه المنصورية ، المنسوبة الى الخليفة الفاطمى أبى الطاهر اسماعيل الملقب بالمنصور ابن القائم بالله ، على يد صانع واضح من اسمه أنه خراسانى الأصل ، ومن المعروف أن الخراسانيين كانوا يؤلفون معظم أجناد العباسيين الذين كانوا قد دخلوا افريقية فى حملة محمد بن الأشعث الخزاعى سنه ١٤٥ هـ .

وبنفس متحف الآثار الوطنى بمدريد صندوق آخر من الخشب المطعم بالعاج مطلى بثلاثة ألوان : الأخضر والاحمر والازرق ، و تحمل قاعدة غطائه نقشا كتابيا بالخط النسخى يشير الى أنه من صنع محمد بن السراج.(١٤)، ويزدان جانبه الطويل بصورة كلبين متقابلين ، بين فروع نباتيه وتوريقات ملساء ، وباحدى الجوانب العليا من الغطاء الهرمى الناقص نقش يمثل كلبا يتحفز للوثوب بين فروع وتوريقات ، أما الجانب الطويل الآخر من بدن الصندوق فيزدان بصورة كلبين متقابلين التصق وجهاهما ، وفى أحد الجانبين القصيرين من الصندوق، صورة كلب يتحفز وقد امتد ذيله والتف الى أعلى ، ونطالع فى الجوانب

---

(١٣) Combe(E.), Sauvaget (J.) et Wiet (G.) : Repertoire Chronologique d'Epigraphie arabe, t.v., le Caire, 1934,p.89. Lévi-provençal (E.)Inscriptions Arabes d'Espagne, Textes, t.I, Paris. 1932, pp. 191.192.

Ferrandis (J.) : Marfiles Arabes de Occidente, t,II, Madrid 1940, p.127.

(١٤) Migeon, op.cit. p. 138 وأنظر اللوحة المصورة فى :

Heinrich Gluck y Ernest Diez, arte del Islam , Madrid, 1934 p. 85.

الاخرى من الغطاء نقشاً كتابيا بالخط النسخى هى أبيات شعر متصله ، استطعنا قراءة بعض كلماتها (حسن صنعى لا . . . السعادة لصاحبه عمل محمد بن السراج) (١٥) ويشبه هذا الصندوق صندوقا آخر بكاتدارئية طرطوشه غطاؤه على شكل هرم ناقص ، وتزدان جوانب البدن بنقوش تمثل صورة غزالين متدابرين داخل دائرتين فى أحد اللوحين الصغيرين من نفس طابع الصور الممثلة فى الصندوق السابق ، ونقش يمثل وحشين متدابرى البدن متقابلى الوجهين داخل دائرة وسطى تكتنفها من اليمين واليسار دائرتان تحتوى كل منهما على صورة تمثل وعلا طويل القرنين ، ويزدان الغطاء بصورة وعلين متقابلين كل منهما داخل اطار بيضى الشكل ، وعلى حافة الغطاء نقش كتابى بالخط النسخى نقرأ فيه عبارة « شكل بديع » ثم كلمة « مسكنى » (١٦) .

(١)

علب العاج الأندلسية : الزخارف ومقوماتها

تعتبر العلب العاجية الاسطوانية منها والتى تتخذ شكل صندوق مستطيل الشكل صناعة قرطبة والزهراء فى عصر الخلافة ، وقونكة فى عصر دويلات الطوائف أروع أمثلة فن الحفر على العاج فى العصر الاسلامى عامة ، فقد كان العاج من المواد الخام التى كان الأمويون فى الأندلس منذ عصر الخلافة يجلبونها من المغرب بعد أن مكن عبد الرحمن الناصر نفوذه فى المغرب الأقصى ، وسيطر

---

(١٥) Migeon, op.cit. p.138 - Ferrandis, op.cit. t.ll. p.258 Lamina. LXXXI. Fig. 161.

(١٦) Jose Pijoan, Summa Artis , Vol. Xii, arte islamico, Madrid, 1949, p.76, Fig. 103 - Ferrandis, op, cit. t. II, p. 260 , Lamina LXXXII, Fig 162

على تجارة العاج والذهب المجلوبين من غانة وساحل الذهب الى قرطبة عن طريق السفارات البربرية التى كانت تتوافد على قرطبة في عهده وعهد خليفته وابنه الحكم المستنصر بالله (١٧) ، ويرى بلدوميرو أن صناعه التحف العاجية فى الأندلس كانت فنا محليا تقليديا ومتفوقا ، تواصل عبر حقب التاريخ ، فقد عثر على أمثلة من التحف العاجية من العصر الفينيقي فى قرمونه ، وعلى أخرى أيبيرية الأصل اكتشفت فى بلدة الش ومدينة نومانيا ، ونماذج من العصر الرومانى وكذلك من العصر القوطى ، واستمرت فى العطر الاسلامى . وكانت الزخارف النباتية التى تغمر هذه التحف العاجية تتشابه مع نظائرها فى التحف المعدنية أو فى اللوحات الرخامية والكسوات الحجرية وحتى فى المنسوجات ، فالعنصر الغالب عليها السيقان المتموجة والمتشابكة التى تكون لفائف وعقوداً مدببة الرؤوس ، فى حين يقتصر التوريق فى التحف المشرقية على أوراق نباتيه تشغل الفراغات المتخلفة من الرسوم الحيوانية والصور الآدمية ويخلو من السيقان الطويلة والمموجة ، كما تتميز الأوراق النباتية فى التوريق القرطبي بأنها بيزنطية أو قوطية الطابع ، ويغلب على الصورة الحيوانية أو الآدمية فى التحف الشرقية تمثيل مناظر البلاط أو الصيد أو الحرب أو عرض موضوعات ترمز للخير والشر كوثوب حيوانات مفترسة على حيوانات وديعة أو رسم أزواج من الصور الآدمية أو الحيوانية بينها شجرة الحياة ، ومناظر ورموز محفورة داخل جامات مستديرة أو مفصصة ، فى حين يشغل الفراغ الواقع بين هذه الرسوم المنقوشة صور تمثل قروداً أو زرافات وطيورا جارحة وذئاباً مزدوجة أو مفردة ، ينكر بلدوميرو وجود مثل هذه الصور فى العلب العاجية القرطبية وحتى اذا وجدت فانها لا تمثل صور وحوش ضارية تنهش حيوانات أليفة وانما تمثل حيوانات زخرفية كالطواويس والحمائم والعقبان

---

(١٧) Baldomero Montoya Tejada, Marfiles Cordobeses, Cordoba, 1979, prologo Presentado Por Dr Rafael Castejon

أو الحيوانات الخرافية كالتنين أو الحيوانات المجنحة أو الكلاب التى تحمل وجه نسر ومنقاره (١٨) . ولا أوافق بلدوميرو فيما ذهب اليه ، فهذه الموضوعات المشرقية لا تختلف عن موضوعات الزخرفة المنقوشة في علب العاج الأندلسى ، مما يؤكد أن زخارف هذه العلب الأندلسية تأثرت تأثراً عميقا بموضوعات الزخارف الشرقية، وسنرى مصداقا لذلك أمثلة عديدة تظهر فيها هذه التأثيرات بجلاء ، والواقع أن موضوعات الزخرفة فى فن الحفر على العاج الاندلسى فى عصر الخلافة وحتى فى عصر دويلات الطوائف بل وفى صقلية لا تختلف عن نظائرها الشرقية التى نلمسها فى التحف الفارسية والصينية والهندية ، فهناك من النقوش ما يمثل صراع الوحوش الضارية التى تفتك بحيوانات وديعة كالغزلان والظباء والأرانب (أنظر نقوش العلبة المحفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن (١٩) أو نقش يمثل صراعا بين شابين (العلبة المحفوظة بمتحف اللوفر ـ مجموعة ريانيو سابقاً) (٢٠)، وفى صندوق كاتدرائية بنبلونه نقش يمثل فارسا يصارع وحشين ، وفارسين يتبارزان على جوادين، وآخرين يتبارزان على فيلين متقابلين بينهما شجرة الحياة (٢١)، بل ان احدى العلب تحمل نقشا يمثل أسدين يلتهمان غزالين ، وهى صورة تتصدر جامة مفصصة فى بدن علبة أسطوانية الشكل محفوظة بمتحف اللوفر مجموعة ريانيو سابقاً (٢٢). كذلك يذكر بالدوميرو أن التحف العاجية المشرقية تخلو زخارفها تماما من الزهور الكلاسيكية ذات البتلات الأربعة أو السته أو التى تتميز ببروز دائرة مركزية ، وهى احدى الخصائص المميزة للفن القرطبى والتى تطورت الى ثمان بتلات فى زخارف

---

(١٨) Baldomero, Marfiles cordobeses, p. 11 .

(١٩) Ferrandis, op. Cit . Laminas 23, 24, 25 .

(٢٠) Ibid. Lamina 22.

(٢١) Ibid., Laminas 33, 34 , 35, 36

(٢٢) Ibid., Lamina 21 .

التحف العاجية بطليطلة [٢٣].

ويجدر بنا قبل عرض أمثلة من هذه التحف العاجية أن نقدم لها بدراسة عامة تتعلق بأهم ما تتميز به نقوش العلب العاجية ، وهى أهم هذه التحف على الإطلاق ، وبالمدارس الفنية لصناعتها فى الأندلس :

(٢)

عصر الخلافة الاموية فى الأندلس يمثل العصر الذهبى للحضارة الاندلسية

يمثل عصر الامير عبد الرحمن الداخل بداية الازدهار الذى اتسمت به الأندلس حضاريا : فنيا ومعماريا وعلميا واقتصاديا وسياسيا ، وهو ازدهار بلغ ذروته فى عصر الخليفتين عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر وفترة من عصر هشام المؤيد ، وتمثل مدينه الزهراء بما اشتملت عليه من إبداعات زخرفية ، والجامع القرطبى بما تتضمنه عمارته من ابتكارات معمارية قمة هذا الازدهار ، كما تعبر عن تطور الذوق الفنى عند أهل الأندلس بما تلقاه من روافد فنية مشرقية تداخلت مع التقاليد المحلية ، مما ترتب عليه تفوق الأساليب الفنية الأندلسية على غيرها من الأساليب الفنية المشرقية اسلامية وغير اسلامية .

وفى مجال الفنون أدى الازدهار الاقتصادى والسياسى الذى اصابته الاندلس فى القرن الرابع الهجرى الى ارتقاء الفنون الصناعية والمعمارية ، فقد حذا عديد من شخصيات مجتمع الخاصة بقرطبة بسبب الرخاء الإجتماعى حذو الامراء والخلفاء وكبار رجال الدولة فى اصطناع أرباب الفنون وعرفاء البناء

(٢٣) Baldomero, op. cit., pp. 11, 12 .

فى إنشاء قصور موزونة الأبعاد ، ومنمقة الجدران بامتداد ضفتى الوادى الكبير ، عاش بداخلها قوم بلغوا الغاية فى التأنق والترف ، وتعبر التحف العاجية والمنسوجات والخزف والحلى مما كشف عنه البحث الاثرى فى قرطبة ومدينه الزهراء عن مدى الازدهار الذى بلغته الفنون الصناعية بقرطبة فى هذا العصر (٢٤) ، ويصور فى نفس الوقت على حد قول فرانديس التناقض المذهل بين هذا التفوق الذى أحرزته فنون الاسلام بالاندلس وبين التدهور الواضح الذى اتسم به الفن المسيحى فى الكنائس والأديرة (٢٥) .

وبفضل تشجيع الخلفاء فى قرطبة أقيمت بهذه المدينة عدة دور لصناعة التحف (٢٦)،

---

(٢٤) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الاموية بالأندلس ، ج٢ ، الاسكندرية – محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٢٥) Ferrandis , op. Cit. p. 12

(٢٦) كانت دار صناعة قرطبة تقع شمالى القصر الخلافى ، وان كان ابن عذارى يؤكد أن دار صناعة قرطبة كانت بقصر الخلافة (ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار المغرب ، طبعة بيروت ، دار صادر ، ج ٢ ، ص ٣٤٥) . ومما يؤكد أن دار صناعة قرطبة لم تكن مخصصة لصناعة السفن ، وانما خصصت لصناعة التحف قول ابن عذارى فى سياق حديثه عن الحوض البيزنطى الذى اجتليه ربيع الاسقف من القسطنطينيه ونصبه فى بيت المنام بالمجلس الشرقى المعروف بالمؤنس « وكان عليه اثنى عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعا بالدر النفيس الغالى مما صنعه بدار الصنعة بقصر قرطبة» (ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥) ويذكر المقرى نقلا عن ثقات المؤرخين هذه التماثيل بقوله : « وجعل عليه اثنى عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالى مما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد بجانبه غزال الى جانبه تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل ، وفى المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها » (المقرى ، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، تحقيق الاستاذ محيى الدين عبد الحميد ، ج٢ ، ص ١٠٤) .

ودار للطراز [٢٧] . وقد وصلتنا أمثلة عديدة من التحف المعدنية صناعة قرطبة ومدينه الزهراء بلغت الغاية فى الاناقة ودقة الصنع والتقانه ، منها الصندوق الفضى الذى تحتفظ به كاتدرائية جرنده [٢٨] ، والعلبة المعدنية التى تحتفظ بها كنيسة يادو بجرندة Gerona ، والحلى الرائعة صناعة قرطبة ومدينة الزهراء والمحفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ومتحف والترجاليرى للفنون بيلتيمور ، كما وصلتنا أمثلة رائعة لبعض التماثيل صناعة قرطبة ومنها وعل مدينة الزهراء المحفوظ بمتحف قرطبة [٢٩] ، وتمثال الأسد البرنزى المحفوظ بمتحف اللوفر ، وغيرها من التحف المعدنية الرائعة . ولكن التحف المصنوعة من العاج تعتبر أروع ما أنتجته دار صنعة قرطبة فى عصر الخلافة من تحف الترف والزينه ، واذا كانت

---

(٢٧) ذكر ابن عذارى أن الأمير عبد الرحمن الأوسط أنشأ بقرطبة دارا للطراز (ج٢ ، ص ١٣٦) . ويذكر ابن الخطيب فى كتابه أعمال الأعلام أن فى أيامه « اتخذ الطراز الذى كان حديث الرفاق وطرفة أهل الافاق (ابن الخطيب ، كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٢٠) هذا وقد وصلنا من دار طراز قرطبة قطعة واحدة من النسيج عرفت بطراز هشام المؤيد ، عثر عليها فى سان استيبان دى غرماج ، ولعلها كانت من بين ما انتهبه البربر عند تخريبهم لقرطبة فى سنة ٤٠٣ هـ ، وحملت الى هناك (السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج ٢ ، ص ١٥٥) .

(٢٨) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج٢ .
وأنظر أيضا : مانويل جومث مورينو ، الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ترجمة أحمد لطفى عبد البديع والسيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٤٠٢ ،
Manuel Gomez Moreno, El arte Islàmico en Espana Y en El Magreb, en Arte del Islam , Por Heinrich Gluck y Ernest Diez, Madrid, P. 108, Lamina, p. 635.

(٢٩) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ٢ ص ١٣٩ ، وانظر جومث مورينو ، المرجع السابق ، ص ٤٠٠ -
Torres Balbas (L.) : La Mezquita de Cordoba Y Madinat al- Zahra. Madrid , 1952, p. 153.

قد بهرتنا المنشآت المعماريه الخلافية والزخرفة بجمالها فان التحف العاجية بزخارفها الدقيقة وصورها البارزة تنطق بما وصل اليه الفن الاسلامى من رقى .

وتواصل التقاليد الفنية الخلافية مسيرتها فى عهد الخليفة هشام المؤيد بالله رغم حجر المنصور بن أبى عامر عليه ، و يعتبر عصر المنصور استمرارا لعصر الحكم المستنصر بالله فى مجال الحياة الفكرية والفنية والعسكرية ، وشهدت الاندلس فى عهد المنصور وولده المظفر عبد الملك ازدهارا فنيا واضحا ، ولكن هذا الازدهار لم يلبث أن توقف بعد وفاة المظفر ، اذ نشبت فى حجابة أخيه شنجول ثورة عارمة فى قرطبة دمرت كل التراث الخلافى وسلبت من قرطبة ما كانت تتميز به من فخامة وتأنق ، ثم بدأ عصر الطوائف .

وعلى الرغم من التفتت السياسى الذى شمل البلاد فى هذا العصر فقد صحبه تقدم فنى وأدبى واضح المعالم ، اذ أن ملوك الطوائف التمسوا فى بلاطاتهم كل مظاهر الابهة والفخامة ، وحرصوا على التظاهر بالملوكية ، واصطنعوا التأنق والترف ، فنهضت الفنون الزخرفية والانشاءات المعمارية فى هذا العصر ، وتعبر عن تلك النهضة الفنية والمعمارية القصور الرائعة التى أقيمت فى ذلك العصر ، مثل قصر الناعورة بطليطلة [٣٠] ،وقصور الجعفرية بسرقسطة [٣١] ،

---

(٣٠) عن قصر الناعورة الذى شيده المأمون بن ذى النون بطليطلة ، ارجع الى : ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيزة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور فى الأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٦٠ ، ٦١ - وانظر .
Clara Delgado Valero, Toledo Islàmico: Ciudad, arte e historia Toledo, 1986, pp. 212 - 219.

(٣١) عن قصر الجعفرية بسرقسطة أنظر : مانويل جومث مورينو ، المرجع السابق ، ص ٢٦٢ – ٢٨٨، السيد عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور فى الأندلس ، ص ٦٣ – ٦٧ وأنظر :
Jose Pijoan, Summa Artis , Vol . XII, arte isàmico, pp. 485 _ 492 - Ricardo del Arco, la Aljaferia de Zaragoza, Rev . Arte Espanol , No. 5, 1926

والقصر المبارك باشبيلية (٣٢) ، وقصر البديع ببطليوس(٣٣) ، وقصر الصمادحية بالمرية (٣٤)، كما ظهرت مدن أخرى غير قرطبة حلت محلها فى مجال الصناعات الفنية ، ومنها قونكة التى ذاعت شهرتها فى صناعة التحف العاجية التى كانت تخصص لملوك طليطلة ، والمرية (٣٥) فى صناعة المنسوجات التى كانت تصدر الى الغرب الأوربى والمشرق الإسلامى .

مصادر استيراد العاج وطرق صناعته وزخرفته :

أحرزت صناعة التحف العاجية والمنسوجات الاندلسية شهرة عالمية فى القرنين الرابع والخامس بين الفنون الصناعية ذوات الاصول المشرقية ، فزخارف هذه التحف ترتبط ارتباطا وثيقا فيما بينها مما يؤكد أنها استلهمتها من مصدر واحد هو الفن البيزنطى ، ولا نشك فى أن التحف التى استلهم منها أهل

---

(٣٢) عن القصر المبارك أرجع الى : السيد عبد العزيز سالم ، المساجد والقصور ، ص ٩٩ وما يليها
Jose Guerrero Lovillo, al- Qasr al - Mubarak Sevilla, 1974, p.99.

(٣٣) عن قصر البديع ببطليوس ارجع الى الرسالة المقدمة من الدكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم للحصول على درجة الدكتوراه ، وعنوانها : مظاهر الحضارة فى بطليوس الاسلامية ، الاسكندرية، ١٩٨٨ .

(٣٤) عن قصر الصمادحية أرجع الى : السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٩، ص ١٣٩ ـ ١٤١ وانظر وصف القصر فى: أحمد بن عمر بن أنس العذرى ، نصوص عن الأندلس ، تحقيق دكتور عبد العزيز الاهوانى ، مدريد ، ١٩٦٥ ، ص ٨٥.

(٣٥) السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ - ١٦٣
Elsayed Abdel Aziz Salm, Algunos aspectos del Florecimiento economico de Almeria Islamica durante el Periodo de los Taifas y de los Almoravides, Rev. del Instituto egipcio de Madrid , Vol , XX , Madrid, 1979- 1980 , pp. 20- 22.

الاندلس اتجاههم الفنى كانت بيزنطية بالدرجة الأولى ، فان اللوحة العاجية التى كانت تؤلف جانبا من جوانب احدى العلب العاجية مستطيلة الشكل بمجموعة ليون اندريه والمحفوظة حاليا بمتحف اللوفر (القسم الأول) يمكن أن تكون زخارفها مصدر الهام للتحف العاجية الاسلامية الاولى ، فالتشابه بينها وبين التحف الاسلامية واضح ، وهناك مصدر آخر لزخارف علب العاج الاندلسية استلهمة النقاشون فى الأندلس من زخارف العلب الفاطمية والعباسية ويعزى ذلك الى الازدهار السياسى والاقتصادى الذى نعمت به الأندلس فى عصر الخلافة الاموية بقرطبة . ولا ننسى العلاقات الطيبة التى كانت تربط بين قرطبة وبيزنطة فى ذلك العصر مما انعكست آثاره على الفنون الزخرفية (٣٦) ، وبالتدريج بدأ فن الزخرفة الاندلسى يتحرر من التأثير البيزنطى ويصطنع أسلوبا زخرفيا مستقلا تعبر عنه التحف العاجية (٣٧).

وكان التجار العرب يجلبون العاج من الهند ومن ساحل العاج ومن مدغشقر وبلاد زنجبار حيث كان يتوفر بكثرة فى بلاد الزنج (٣٨) ، وكان يصدر

(٣٦) اجتلب عبد الرحمن الناصر من القسطنطينية ١٩ سارية ، ١٤٠ من رومة ، كما أرسل ربيع الأسقف وأحمد اليونانى الى القسطنطينية لاحضار حوض من الرخام الأخضر نصبه فى وسط بيت المنام بمجلس المؤنس ، وقد نقل هذا الحوض بحرا الى الاندلس ونصبت حوله تماثيل من النحاس مرصعة بالدر النفيس صناعة قرطبة عددها ١٢ تمثالا لحيوانات وطيور وزواحف تمج المياه من أفواهها (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٣٤٥) . كما بعث الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع بثلاث مائة وعشرين قنطارا من الفسيفساء الى الحكم المستنصر هدية فأنزلها النقاشون على وجه المحراب والعقدين اللذين يكتنفانه وعلى باطن القبة التى تتقدم المحراب .

(٣٧) Ferrandis , Op. Cit. P.17 .

(٣٨) يذكر المسعودى أن الفيلة فى بلاد الزنج فى غاية الكثرة ، وأنها وحشية كلها غير مستأنسه ، والزنج لا تستعمل منها شيئا فى حروب ولا غيرها ، بل تقتلها ، وذلك أنهم يطرحون لها نوعا من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم فى الماء ، ويختفى رجال الزنج ، فترد الفيلة لشربها ، =

من الاسكندرية الى دول الغرب الأوربى أو من غرب افريقيا الى سجلماسة الى العدو وكان للعام تقدير خاص من خلفاء بنى أمية فى الأندلس ، بدليل أنه كان من بين الهدايا التى كان يحلمها أمراء البربر الى قرطبة وقد استخدمة عبد الرحمن الناصر فى عمل حنايا وعقود من العاج والابنوس المرصع بالذهب وأصناف الجوهر (٣٩) .

ولصناعة ابواق الصيد كانوا يقطعون الطرف المدبب من الناب ويجوفونه،ثم ينقشون سطحه الخارجى بصور ورسوم شتى ، أما العلب الاسطوانية أو مستطيلة الشكل فكانوا يقطعون من ناب الفيل كتلا منتظمة ثم يشكلونها لتكون العلبة اسطوانية الشكل عن طريق التجويف أو لتكون مستطيلة الشكل عن طريق ازالة الاسطح المستديرة فى الناب وبسطها ثم تفريغ البدن وصقل الجوانب الأربعة بالمبارد تمهيدا لنقش الزخارف ، وبعد الفراغ من عملية النقش الغائر للتشكيلات الزخرفية النباتية والحيوانية تدهن هذه التشكيلات الزخرفية ببعض الالوان ، وتحتفظ بعض العلب العاجية التى وصلت الينا من صناعة قرطبة ببقية من تلك الألوان، من ذلك علبة صغيرة محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت واللوحة

= فاذا وردت وشربت من ذلك الماء حرقها وأسكرها ، فتقع ، ولا مفاصل لقوائمها ، ولا ركب على حسب ما قدمناه ، فيخرجون اليها بأعظم ما يكون من الحراب فيقتلونها لأخذ أنيابها ، فمن أرضهم تجهز أنياب الفيلة ، فى كل ناب منها خمسون ومائه من-، بل أكثر من ذلك ». ويضيف قائلا أن العدد الاكبر من هذه الانياب كان يجهز من بلاد عمان الى الصين والهند ، ففى الصين كانوا يستخدمون الأعمدة من العاج ، وفى الهند يستخدمونه فى نصب الخناجر والقراطل أى السيوف المعوجة وفى صناعة الشطرنج والنرد (المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق الأستاذ محيى الدين عبد الحميد ، ج٢ ،القاهرة ،١٩٥٨ ص ٦ - ٨) وفى موضع آخر يذكر المسعودى أن الفيلة ، لا تنتج ولا تتوالد الا بأرض الزنج والهند ، وتتضخم أنيابها فى بلاد الزنج (المسعودى ، نفس المصدر ، ص ١١) .

(٣٩) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

المحفوظـة بمتحف المتروبوليتان بنيويورك [٤٠] . ومن المعروف أن استخدام الألوان فى تزيين التحف الصناعية وفى زخرفة الجدران كان من أخص سمات الفن الاسلامى [٤١] . وتلى ذلك مرحلة تركيب مفصلات العلبة التى تربط بين بدنها وغطائها.

أنواع التحف العاجية التى تنتجها دار صناعة قرطبة وقونكة :

تعددت أنواع التحف المصنوعة فى دار الصناعة بقرطبة وقونكة ، ولكن أكثر انتاجها كان مركزا على العلب الصغيرة مستطيلة الشكل (بدنها صندوق صغير وغطاؤها هرمى ناقص أوما يطلق عليه اسم التركيبه المقبرية) أو العلب اسطوانيه الشكل ذات الغطاء المقبب ، وهذه العلب كانت مخصصه لمهاداة الملوك والأمراء والاميرات . وجرت العادة أن يكون صاحب الهدية شخصا له نفوذه السياسى أو العسكرى وأن يسجل فى النقش الكتابى اسم الشخص الذى وجه اليه الهدية بشرط أن يكون ذكرا ، فالمرأة التى تهادى لا يذكر اسمها قط ، وكانت فى العادة أميرة أو أم ولد ، تهدى اليها التحفة بمناسبة مولود أنجبته .

وكانت هذه العلب مستطيلة الشكل تتخذ لحفظ الحلى ، واذا كانت اسطوانية فلحفظ المسك والعنبر والكافور كما يشير الى ذلك النقش الكتابى المسجل على غطاء العلبة الاسطوانية المحفوظة بالجمعية الاسبانية بنيويورك [٤٢]

---

(٤٠) Ferrandis, op.cit. t. p. 18

(٤١) السيد عبد العزيز سالم ، القيم الجمالية فى فن العمارة الاسلامية ، بحث ألقى فى الموسم الثقافى الثالث لجامعة بيروت العربية ، ونشرته جامعة بيروت العربية ١٩٦٣ ، ص٢٢ ، ٢٣ وأنظر Ferrandis, op. Cit. p. 19 .

(٤٢) يتضمن النقش الكتابى الذى يدور بأدنى غطاء العلبه الأبيات التالية :

منظـرى أحسن منظـر .. نهـد خـود لـم يكسـر
خلعه الحسن على .. حلة تزهـى بجوهـر
فأنا ظـرف لمسـك .. ولكـافـور وعنبـر

Jose Ferrandis, op. cit. t. i. p.65.

وكانت العلبة خلافية الصناعة تصنع من كتلتين من العاج : احداهما لبدن العلبة والثانية لغطائها ، أما العلب المتأخرة مستطيلة الشكل فكانت تصنع من لوحات تلتصق فيما بينها .

ويرجع الفضل فى الحفاظ على العدد الكبيرمن العلب العاجية التى وصلت الينا الى جودة المادة العاجية التى صنعت منها ، والى أنها تحفا للزينة ، وثمة سبب آخر هام للغاية أن عدداً من العلب العاجية كان من بين الغنائم التى تقع فى أيدى عسكر الممالك المسيحية باسبانيا ، فكانوا يقدمونها للكنائس ، والكاتدرائيات تعبيرا عن فرحتهم بالنصر ، وكان الرهبان فى الأديرة والقساوسة فى الكنائس يحفظون فيها المخلفات المقدسة وهذا هو السر فى احتفاظ الكنائس والأديرة بالكاتدرائيات الاسبانية بكثير من هذه العلب ، فقد كتب راهب بدير سان بدرو دى آرلانثا أبيات شعرية فى سنة ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) تكريما لفرنان جنثالث ورد فيها ذكر علب وصناديق عاجية كانت من بين الغنائم التى وقعت فى أيدى الجند من خيمة القائد المسلم ، منها قوله :

« ووجد فى الخيمة صناديق من العاج نفيسة للغاية إذ بلغت من القيمة مبلغاً لا يمكن أن نتصوره أو نحصيه فقدمت هبة للقديس بدرو ، وخصص لها فى ذلك اليوم موضع بالمذبح » (٤٣) .

وعلى الرغم من أنه لم تصل الينا حتى اليوم هذه الصناديق العاجية التى قدمها فرنان جنثالث لدير سان بدرو دى أرلانثا ، فان عددا كبيرا من العلب العاجية تم العثور عليه من كنوز كنائس اسبانيا وكاتدرائياتها .

كذلك استخدم العاج فى صناعة تحف لأغراض مختلفة لم تصل الينا

---

(٤٣) Ibid, p. 21.

منها الا نماذج قليلة ، من ذلك على سبيل المثال علبه تشتمل بداخل دفتيها على تجويفات نصف كروية ربما كانت تستخدم مدافا للعطور أو الادهان المعطره، أو قد تكون مخصصة للعبة كور صغيرة لم نتعرف عليها بعد ، هذه العلبة كانت محفوظة بكنيسة سانتو دومنجو دى سيلوس واليوم يحتفظ بها متحف برغش Burgos(شكل١)،كما استخدم فى صناعة أشكال لعبة الشطرنج ،وعصى صولجان أو مقابض سيوف ، وبالاضافة الى هذه التحف ذات الاستخدام الشخصى ، استخدم العاج أيضا عنصراً زخرفيا لأثاث القصور القرطبية وفى تطعيم الخشب ، كمصاريع الأبواب والمنابر ، ومن ذلك أن منبر جامع القصبة الكبير باشبيلية الذى صنع بقرطبة كان مطعما بالعاج والابنوس (٤٤) .

الزخارف التى تزدان بها العلب العاجية :

استخدم الفنان القرطبى فى تحفه جميع المقومات الزخرفية التى كانت فى متناول يده وأولها التكوينات النباتية التى استمد أصولها من فنون الزخرفة البيزنطية ، وثانيها الصور الحيوانية التى شاع استخدامها فى المنسوجات والحلى ، وثالثها الصور الحيوانية والآدمية ذات الطابع الشرقى التى نفذها الفنان القرطبى على نحو يختلف عن نظائرها الأسيوية . ومما لاشك فيه أن الفنان القرطبى ، صانع التحف العاجية ، استلهم صوره وزخارفه من الكتب المصورة العديدة التى كانت تضمها مكتبة القصر الخلافى بقرطبة بالاضافة الى النسيج المشرقى الذى كان يسهل تنقله وتداوله فى الأندلس ، وكان موضع اعجاب الاندلسيين بحيث قلدوه ، فصنعوا الجرجانى والعتابى والاصبهانى وغيرها من أنواع المنسوجات

---

(٤٤) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، تحقيق د. عبد الهادى التازى ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٤٧٨ .

المشرقية [٤٥] وتتميز أقدم العلب العاجية الأندلسية بكسوة أوجهها بالنقوش النباتية والتوريقات ، ثم بدأت تظهر بين الفروع النباتيه والتوريقات صور طيور متناثرة ، وابتداء من علبه متحف اللوفر المؤرخة ٣٥٧هـ (٩٦٨) (شكل ١٣ ـ ١٦) حتى نهاية انتاج دار الصناعةبقرطبة فى عصر الفتنة كانت المسطحات المزدانه بالزخارف تنقسم الى وحدات متجمعة داخل جامات مفصصة أو مستديرة، وتحولت هذه الجامات فى عصر ملوك الطوائف إلى قطاعات طولية ضيقة تتكرر فيها صور صغيرة تمثل مناظر صيد أو طعان أو مبارزات أو وحوش ينهش بعضها بعضاً [٤٦] ، ومن الجدير بالذكر أن بعض العلب العاجية كانت تحمل أشرطة تتشكل وفق عناصر معمارية كالعقود الحدوية التى نشهدها فى علبة السيو ببراجا، وهى عقود على شكل حدوة الفرس تنبت من أعمدة لها تيجان تزدان بالتوريق ، ومنها أشرطة دائرية تتشابك فيما بينها مؤلفه أشكالا مفصصة أو نجمية على غرار العقود الزخرفية بالزيادة الحكمية فى جامع قرطبة ، كما تظهر فى الزخارف عقود تختلط فيها الخطوط بالمنحنيات ويتمثل ذلك فى العلبة المحفوظة بمتحف الفنون الزخرفية بباريس [٤٧] شكل (١١) .

وأول مقومات الزخارف التى تكسو علب العاج القرطبية هى العناصر النباتية ، ومن المعروف أن الزخرفة النباتية كانت العنصر الزخرفى الأساسى فى تزيين كسوة المحراب بجامع قرطبة وكذلك فى كسوات الجدران بقاعات قصور الزهراء، كما غمرت أوجه حوض الزهراء المحفوظ بمتحف الآثار الوطنى بمدريد

(٤٥) ذكر الادريسى أن مدينه المرية وحدها كانت تضم زمن المرابطين من طرز الحرير وحده ٨٠٠ طراز ، معظمها تقليد للمنسوجات المشرقية (الادريسى ، نزهة المشتاق ، المجلد الثانى ، القاهرة ، ص ٥٦٢) . ومن الملاحظ أن صناعة النسيج فى المرية تأثرت الى حد كبير بصناعته فى المشرق الاسلامى ، فكانت تصنع بالمرية أقمشة حريرية على غرار الأقمشة المصنوعة فى العراق وفارس مما كان يصل الى الاندلس منذ عهد الامير عبد الرحمن الأوسط (السيد عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المرية الاسلامية، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩) .

(٤٦) Ferrandis , Op. Cit. T.i, P.24 .

(٤٧) Ibid. P. - 24 .

وكذلك على باب خزانة التحف المقدسة بدير لاس أويلجاس بمدينة برغش حيث نشهد التكوينات المنقوشة بنفس العناصر التى نقشت بها زخارف العلب العاجية ، وعلى هذا النحو فان التشابه بين هذه الزخارف والزخارف السابقة واضح كل الوضوح الى حد أنه لا يمكن التمييز بين هذه الزخارف وتلك وان كانت سهولة النقش فى العاج لليونة مادته تتيح للتشكيلات الزخرفية مرونة فى تنفيذ النقوش النباتية أكثر مما تتيحه مادة الرخام أو حتى الجص ، ومع ذلك فمن الممكن التمييز بين دقة الأداء فى التحف الخلافية عنها فى التحف المتأخرة بحيث يصبح من السهل ملاحظة مدى التطور الذى طرأ على الزخارف النباتية المنقوشة على العلب العاجية ، فهناك فارق كبير واختلاف واضح بين الخطوط اللينة والرسوم المتنوعة فى تحف العاج القرطبية والتكرار الممل الجامد الذى يتمثل فى انتاج قونكة من عصر ملوك الطوائف ، بل ان التوريق الكبير الذى اصطنعته مدرسة خلف النقاش بمدينة الزهراء يبدو أكثر رقة من التوريق الصغير الذى يتناثر بين الفراغات العاطلة من الزخرفة فى علبة كاتدرائية بتبلونه وعلبة متحف فكتوريا والبرت وترجع كلتاهما الى نهاية فترة انتاج دار صناعة قرطبة(٤٨) . أما النقوش الكتابية المنفذة على غطاءات العلب العاجية فقد أثارت بجمالها وروعة ادائها اهتمام المتخصصين فى الآثار الأندلسية ، فعكفوا على قراءتها وتسجيلها ، وتعرضوا فى ذلك لمشكلات كثيرة بسبب تشابه حروف الخط الكوفى المورق وافتقاد التنقيط ، وورود أخطاء لغوية فى النقش الكتابى ، فجاءت قراءة الكثير من هذه النقوش مجانبة للصواب الأمر الذى دعا الاستاذ ليفى بروفنسال الى تخصيص مجلدين لتسجيل النقوش الكتابية الأندلسية وعرض صورها ، وتعتبر قراءاته أفضل القراءات حتى اليوم رغم وقوعه فى بعض الأخطاء .

---

(٤٨). Ibid . PP. 29 - 30

وبقى الحديث عن الصور الآدمية والحيوانية الممثلة على هذه التحف ، فهى صور غير منفردة لم تظهر بين نقوش العلب مستقلة بذاتها وانما تظهر عادة متصلة بمناظر مختلفة تمثل الحياة اليومية من عقد مجالس أنس وطرب الى مناظر صيد بالشواهين أو مبارزات بين فارسين أو مناظر تمثل رقصا ، وعلى الرغم من أهمية هذه الصور المنقوشة بالنسبة لتصوير جوانب من الحياة الاجتماعية الا أنها لا تبلغ من الاتقان الصور المتأخرة كما أن الحركة فيها تكاد تكون معدومة ، وأنها نفذت دون مراعاة للمنظور (٥٠) . أما الصور الحيوانية الممثلة فى النقوش فتبدو أكثر حيوية وحركة ورشاقة وتنوعا بلغ الغاية فى التميز ودقة التنفيذ ، وفيها نجح النقاش فى التعبير عن وحشية بعض هذه الحيوانات وضراوتها كما يتمثل فى الصراع بين الحيوانات أو انقضاض بعضها على البعض أو اقدام بعضها على التهام البعض الآخر ، ربما تعبيرا عن الصراع بين الخير والشر فى التقاليد الفارسية القديمة، كذلك نجح فى التعبير عن وداعة بعضها كنقوش الطواويس التى تعانقت رقابها والغزلان المتقابلة أو المتدابرة .

مراكز صناعة التحف العاجية فى الأندلس :

نستنتج من النقوش الكتابية المسجلة على حواف غطاءات العلب العاجية أن مدينه الزهراء كانت المركز الأول فى الأندلس لصناعة هذه العلب ، ويتمثل ذلك فى العلبة مستطيلة الشكل المحفوظة بمعهد بلنسية دى دون خوان بمدريد «شكل ٧» ، وكذلك العلبة المماثلة المحفوظة بكنيسة فيترو Fitero بنافارة «شكل ٨» ويحمل نقشها بالاضافة الى اسم مدينة الزهراء وسنة ٣٥٥ هـ اسم الصانع «خلف» (٥١). أما المركز الثانى والأحدث فى الأندلس فمقره مدينة

---

(٥٠) Ferrandis , op . cit. t.I, p. 27 .

(٥١) Ferrandis, op.cit. pp. 62.63 .

قونكة [٥٢] ، ويتمثل ذلك الاسم فى النقش الكتابى الذى يزدان به غطاء صندوق سانتو دومنجودى سيلوس المحفوظ حاليا فى المتحف الأهلى للآثار فى برغش(٢٩) وكذلك فى غطاء علبة كاتدرائية أربونة (شكل ٢٤) وغطاء صندوق كاتدرائية بلنثيا المحفوظة فى متحف الآثار الوطنى بمدريد (شكل ٣٢) ، ويحمل كل من الصندوقين الأول والثالث اسم الصانع محمد بن زيان وأخوه عبد الرحمن بن زيان [٥٣] .

وبالاضافة الى هذين المركزين الرئيسيين المتميزين من الوجهة الفنية كانت هناك فيما يبدو مراكز أخرى لصناعة التحف العاجية فى الأندلس ، ومنها مدينة قرطبة نفسها التى أقام فيها عبد الرحمن الناصر داراً للصناعة بالقصر الخلافى أو على مقربة منه كما أشرنا من قبل ، وكانت مدينة شلطيش Saltesدارا لصناعة مراسى السفن[٥٤] والتحف المعدنية وربما التحف العاجية أيضا. وقد نشطت دار صناعة الزهراء فى انتاج التحف العاجية فى عصر الخلافة الاموية بالأندلس ، وتتميز هذه الدار بفخامة انتاجها ودقته ربما لانهاأقيمت داخل أسوار مدينه خلافية الطابع مقر البلاط الخلافى ، فلما سقطت الزهراء بهجوم البربر سقطت دار الصناعة بدورها وفقدت التحف العاجية بسقوطها الأصالة

---

(٥٢) قونكة مدينه بشمال الأندلس من أعمال شنتبريه (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قونكة) ويذكر الأدريسى ، أنها « مدينه أزلية صغيرة على منقع ماء مصنوع قصدا ولها سور ، وليس لها ربض ويصنع بها من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة » (الادريسى ، نزهة المشتاق ، المجلد الثانى ، ص ٥٦٠) . وتقع مدينة قونكة Cuenca الى الشمال الغربى من مدينه بلنسية ، وكانت تدخل فى نطاق مملكة طليطلة ، التى استقلت بها أسرة ذى النون من الاسرات الحاكمة للأندلس فى عصر دويلات الطوائف .

(٥٣) Ferrandis, op , cit. t.I, pp. 89, 93, 98

(٥٤) المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص .

الفنية والاتقان فى الأداء ، اذ أن مجموعة التحف العاجية التى أنتجتها هذه الدار تشكل أكثر المجموعات عظمة وفخامة (٥٥) . أما المرحلة الثانية من مراحل صناعة التحف العاجية فى الأندلس بمدينة قونكة فتقع فيما بين عامى ٤١٧ هـ ، و٤٤١ هـ، والسنة الأولى تسجل انتاج أول تحفة عاجية وصلت الينا من مصنع قونكة ، وتتمثل فى صندوق سانتو دومنجو دى سيلوس المحفوظ بمتحف الآثار الأهلى بمدينة برغش Burgos. وأما السنة الثانية فتسجل آخر انتاج مؤرخ لهذا المركز الصناعى ، قونكة ، ممثلا فى صندوق كاتدرائية بالنثيا Palencia المحفوظ بمتحف الآثار الوطنى بمدريد(٥٦) وكلا التاريخين يساعد فى تأريخ التحف التى لا تحمل عبارات تتضمن تحديداً لسنى الانتاج ، كما يهيئان المجال لتتبع تطور فن صناعة النسيج الأندلسى على نحو أقرب الى الدقة بسبب التشابه الواضح فى زخارفه مع زخارف التحف العاجية المؤرخة ، والواقع أنه بفضل ذلك أمكن تصنيف كثير من قطع النسيج الأندلسى التى صنفت من قبل على أنها بيزنطية شرقية أو صقلية الصنع : فكثير من الرسوم المنسوجة فى الأمثلة الأندلسية للنسيج وتمثل نسرين متقابلين أو أسدين متدابرين أو طاووسين متقابلين ذيلاهما مشتركان ، تتشابه مع الرسوم المنقوشة على علب العاج الأندلسية (٥٧) .

ويمكننا تصنيف الانتاج الخلافى لعلب العاج الأندلسية المصنوعة فى دار صناعة قرطبة ومدينة الزهراء الى عدة مجموعات تتسم كل منها بسمات مشتركة ، وتعبر جميعا عن مدى التطور الذى تعرضت له هذه الصناعة فى عصر الخلافة الأموية ، وأقدم هذه المجموعات ، تشتمل على ثلاثة أمثلة من العلب :

---

(٥٥) Ferrandis, op . cit. t.I, p.33.

(٥٦) Ibid., p.33 .

(٥٧) Jose Pijoan, summa Artis, p. 124, Lamina Vll, Ferrandis, op. cit. t.I, p.34 .

الأولى علبة أو صندوق سانتو دومنجو دى سيلوس المحفوظة بمتحف برغش وتحمل نقشا كتابيا نصه (هذا ما عمل الابنة لعبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين) . والمثال الثانى لهذه المجموعة الأولى تمثله علبتان مستطيلتا الشكل ، احداهما محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت ، وهى صندوق غطاؤه مسطح يحمل نقشاً كتابيا نصه (هذا ما عمل الابنة السيدة ابنة عبد الرحمن أمير المؤمنين رحمة الله عليه ورضوانه) والعلبة الثانية وهى محفوظة بنفس المتحف يتميز غطاؤها بأنه يتخذ شكل تركيبه مقبرية أو هرم ناقص ، ويحمل الغطاء نقشاً كوفيا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عمل الابنة السيدة ابنة عبد الرحمن أمير المؤمنين رحمة الله ونعمته عليه) . ومن الصعب تحديد التاريخ الدقيق لهذه النماذج المتعاصرة لان أسلوبها الزخرفى يعبر عن بساطة فى الأداء ، ومن المرجح أن العلبة الأولى صنعت فى حياة الخليفة عبدالرحمن الناصر وأن الصندوقين الآخرين صنعا بعد وفاته ، استنادا الى عبارة « رحمة الله عليه » التى وردت فى النقش الكتابى بكل منهما . ومن السمات المشتركة بين هذه الأمثلة الثلاثة خلوها من الرسوم الحيوانية أو الآدمية ، والتشابه الواضح فى زخارفها النباتية ، بالاضافة الى اشتراكها فى الاهداء للابنه السيدة بنت عبد الرحمن الناصر ، ومن الممكن تأريخ هذه المجموعة الأولى بالفترة ما بين سنة ٣٤٩ هـ ، ٣٥١ هـ ، وتلى ذلك بفترة قصيرة مجموعة ثانية تحمل تاريخا موحداً هو سنة ٣٥٣هـ، وتتمثل فى ثلاثة علب واحدة هى علبة أسطوانية الشكل غطاؤها مقبب كانت محفوظة بكاتدرائية سمورة ثم نقلت الى متحف الآثار الوطنى بمدريد ، والعلبة الثانية أسطوانية الشكل ولكنها تتميز بقصر ارتفاعها يحتفظ بها اليوم متحف فكتوريا والبرت ، والعلبة الثالثة هى مجرد لوحة مستطيلة الشكل محفوظة بمتحف المتروبوليتان بنيويورك ، والتحفتان الأولى والثانية أهداهما درى الصغير الى الأميرة صبح أم الأمير عبد الرحمن ولى العهد الأول ، والأولى منهما

وهى الأقدم تحمل تاريخ سنة ٣٥٣ هـ والثانية بدون تاريخ ، ونفهم من النقش الكتابى أنها مهداة الى الحكم المستنصر بالله ولذلك لا يمكن تأريخها بعد سنة ٣٦٦هـ وهى تاريخ وفاة الحكم . ويدعونا التشابه الواضح بين زخارفهما على ترجيح تقاربهما فى تاريخ الصنع ، والى هذه الأمثلة يمكن اضافة قطعتين أخريين أقرب الى التحفتين السابقتين ، احداهما اللوحة المحفوظة بمتحف المتروبوليتان التى سبق ذكرها ، وينقصها النقش الكتابى ، ولكنها بحكم أسلوبها الزخرفى تندمج فى تلك المجموعة ، وبينما تتسم علبة سلمورة بظهور صور تمثل غزالين متقابلين،وطاووسين متقابلين كذلك، وطائرين متدابرين بين التفريعات النباتية والمراوح النخيلية الملتفة فان علبة متحف فيكتوريا والبرت تتميز بصور نسور نشرت أجنحتها داخل جامات رباعية الفصوص على غطاء العلبة ، ولوحة المتربوليتان تزدان بنقوش تمثل طاووسين متقابلين ، يتناوبان مع راقصين متقابلين ، ونقوش تمثل كلبين متقابلين يتكرران ، وشاهينين متدابرين بأعلى اللوحة يتكرران أيضا، والزخارف النباتية فى أمثلة هذه المجموعة لا تعدو سيقانا رفيعة للغاية تنحنى وتتشابك على نحو بلغ الغاية فى الثراء الزخرفى .

ويلى هذه المجموعة مجموعة ثالثة تتمثل فى صندوقين يحملان اسم الصانع ويدعى خلف وصندوقين آخرين نسبتهما من حيث أسلوب التوريق ومن حيث تاريخ الصناعة الوارد فى النقش الى نفس الصانع ، هذه المجموعة تتألف على هذا النحو من أربعة أمثلة أولها صندوق محفوظ بمتحف بلنسية دى دون خوان بمدريد ، وصندوق كنيسة فيتيرو Fitero بنبره ، والصندوق المحفوظ لدى الجمعية الاسبانية بنيويورك ، وغطاء صندوق محفوظ بمتحف فيكتوريا والبرت . أما الصندوقان الأولان (صندوق متحف بلنسية دى دون خوان وصندوق كنيسة فيتيرو) فمن صناعة مدينة الزهراء ومؤرخان سنة ٣٥٥ هـ . ومما لا شك فيه أن اتفاق الصندوقين فى تاريخ الصنع وتشابههما فى العناصر الزخرفية وفى أسلوب

النقش الكتابى يجعلنا نعتبرهما من عمل فنان واحد ، وان كان صندوق فيترو وحده يحمل اسم الصانع . وواضح من النقش الكتابى المسجل عليهما أن الصندوقين أهديا الى شخص واحد ، وأنهما خصصا لأميرة لعلها أخت الحكم المستنصر ، ذلك أن اسم ولادة وهو اسم أخت الحكم ، يظهر فى النقش الكتابى لكلتى العلبتين على الرغم من أن العادة جرت فى الأعمال الفنية الاسلامية المهداة على اغفال نقش أسماء النساء اللائى أهدين ، ويمكننا أن نضم الى الصندوقين سالفى الذكر علبة الجمعية الاسبانية بنيويورك أسطوانية الشكل والتى تحمل اسم خلف ، وهو نفس الصانع الذى نقش اسمه فى صندوق كنيسة فيتيرو ، ويكسو هذه التحفة توريق أنيق ينبثق من تفريعات نباتية وبراعم نباتية تتوسطها أوراق نباتية متقابله الرؤوس .

ومن الجدير بالذكر أن عدم ذكر اسم الشخص الذى أهديت له هذه التحف يدعونا الى الاعتقاد بأنها لم تخصص للاهداء الخلافى بدليل أن النقش الكتابى لا يحمل اسم الشخص الذى صنعت له ، ومن الغريب أن النقش الكتابى لا يعدو ثلاثة أبيات من الشعر تشير الى أن العلبة خصصت لحفظ المسك والكافور والعنبر [(٥٨)] .

أما لوحة الصندوق المحفوظة بمتحف فكتوريا والبرت فلا تحمل نقشا كتابيا ، ولا نعرف من يكون الصانع ولا لمن خصصت ، ولكن من الممكن من خلال زخارفها النباتيه المتناسقة التى تشبة الى حد كبير زخارف التحف الثلاثة

---

(٥٨) نطالع فى النقش الابيات التالية :

منظـــرى أحســـن منظــر .. نهـــد خـــود لـــم يكســـر

خلعـــــه الحســـن علـى .. حلـــــة تزهــى بجوهـــــر

فأنـــا ظـــرف لمســـك .. ولكـــافـــور وعنبـــــر

أنظر . Ferrandis, op. cit. t.I, p.38.

التى تحمل اسم الصانع خلف أن نصنفها من نفس المجموعة . ومن السمات البارزة في زخارف هذه المجموعة أنها تخلو من الصور الآدمية والحيوانية وتقتصر على التوريقات والبراعم والثمار .

وهناك علبتان من العاج معاصرتان للمجموعة السابقة ، الأولى على شكل صندوق مستطيل الشكل محفوظ فى متحف الفنون الزخرفية بباريس ، ويحمل نقشا كتابيا يتضمن ما يشير الى أنه صنع فى سنة ٣٥٥هـ ، والثانية علبه أسطوانية الشكل بدون غطاء محفوظة فى متحف المتروبوليتان . ويقتصر النقش الكتابى فى الصندوق على أدعية موجهة الى صاحبه أى صاحب العلبة أو الذى ستؤول اليه ، كما أن أسلوب التوريق فى زخارفها يبدو أكثر خشونة من أسلوب الزخارف فى الأمثلة السابقة ، بالاضافة الى أن التكوينات الزخرفية فيها تبدو سهلة وتختلط فيها الخطوط بالمنحنيات ، وتتشابه هذهٔ الزخارف مع نظائرها فى العلبة أسطوانية الشكل فاقدة الغطاء الأمر الذى يدعونا الى الاعتقاد بأن العلبتين نتاج مصنع واحد يختلف إنتاجه عن انتاج مصنع قرطبة ومصنع الزهراء، لم يصل الصناع فيه الى نفس درجة المهارة والدقة فى الأداء التى تتوفر فى علب المصنعين الأخيرين ، ومن الملاحظ أن التوريق فى زخارف هاتين العلبتين يبدو أقل تعقيدا من زخارف العلب القرطبية اذ أن الأوراق النباتيه فيهما تبدو أكثر ضخامة وتخلو من الرشاقة ومرونة الحركة ، وتبدو صور العقبان المتدابرة فى علبة متحف المتروبوليتان جامدة تنقصها الحرية فى الانطلاق بخلاف ما تبدو عليه صورة الطاووسين المتقابلين وكذلك صورة الغزالين فى علبة سمورة ، وتوحى هذه الصور الجامدة بأن صناع العلبتين نقلوا التشكيلات المعروفة دون أن يعبروا عن أى احساس بالروح الابداعية الممثلة فى التحف التى يرجع تاريخها الى بداية

عهد الحكم المستنصر بالله [٥٩] .

وابتداء من العلبة أسطوانية الشكل المنسوبة للمغيرة بن عبد الرحمن الناصر المحفوظة بمتحف اللوفر والتى يحمل نقشها الكتابى تاريخ سنة ٣٥٧ هـ تتعقد زخارف العلب القرطبية تعقيدا لا حد له ، وتجتمع الرسوم الحيوانية التى تظهر متناثرة مع مجموعات تمثل مناظر تتداخل فيها صور آدمية كثيرة . وتشكل هذه العلب مجموعة رابعة تضم من النماذج العلبة المحفوظة بمتحف اللوفر ، والعلبة المحفوظة بمتحف فكتوريا والبرت وتحمل تاريخ سنة ٣٥٩ هـ ، وعلبة متحف اللوفر المجردة من غطائها، والعلبة المحفوظة بمجموعة الكونتيسة دى بيهاج بباريس. وفى جميع هذه النماذج تنحصر الزخارف المنقوشة داخل جامات متعددة الفصوص أو مستديرة ، وتصل صورها الواقعية الى درجة عالية من الدقة ، ومعظم موضوعاتها مشرقية وان كانت قد استقلت عن الأصول التى استلهمت منها . وأهم هذه التحف العلبة المحفوظة بمتحف اللوفر ، وفيها نفذت النقوش التى تمثل الصور الآدمية البارزة على نحو تبدو فيه أكثر واقعية ، وعلى الرغم من افتقاد كثير من هذه الصور للتعبير الحركى الا أن القدرة الفنية العالية تظهر فيها بكل قوة ووضوح ، وتفوقها فى التعبير الحركى الصور الحيوانية التى تبلغ فى كثير من الاحيان درجه عالية من التعبير الذى تفتقده الصور الآدمية [٦٠] .

وترتبط هذه المجموعة بمجموعة خامسة متأخرة بعض الشئ بلغت الغاية فى الروعة والجمال تشتمل على ثلاثة علب أبرزها صندوق كاتدرائية بنبلونه ، ويليه العلبة المحفوظة بكنيسة سيودى براجا، ثم الصندوق المحفوظ بمتحف

(٥٩) Ibid. p. 38 .

(٦٠) Ibid. pp. 39. 40 .

بارجيللو بفلورنسة ، ويمكننا ارجاع تاريخ صنع هذه التحف الثلاثة الى السنوات الأخيرة من القرن الرابع الهجرى استنادا على النقش الكتابى الذى يحمله صندوق بنبلونه ويتضمن تاريخ سنة ٣٩٥ هـ ، وكذلك على أن علبة السيودى براجا وان كانت لا تحمل تاريخا الا أنها تحمل اسم نفس الشخص الذى صنعت له علبة بنبلونه ، ولا تتسم أمثلة هذه المجموعة بخصائص جديدة فى التكوينات الزخرفية تشبه نظائرها فى المجموعة السابقة رغم مضى ما يقرب من نحو ٤٠ سنة على تاريخ المجموعة السابقة ، والزخارف والصور الآدمية والحيوانية تنحصر مثلها داخل جامات مفصصة أو مستديرة ، ووجه الخلاف بين زخارف المجموعتين أن المجموعة الخامسة تتميز بأن توريقها أقل فى الحجم من نظيره فى المجموعة السابقة .

ويعتبر صندوق بنبلونه أروع أمثلة هذه المجموعة على الاطلاق إذ يفوق الأمثلة السابقة جميعا فى التنوع الزخرفى وفى دقة النقش والاتقان فى الأداء والتنفيذ ، فمجالس الأنس والطرب والشراب ، والمبارزات بين الفرسان ومناظر الصيد بالشواهين بدءا بالصيد على صهوات الخيل الى صيد الأسود بالفيلة الى الصراعات بين الاسود والغزلان وبين العقبان والأرانب ، كل ذلك يمثل عالم الحيوان فى العصور الوسطى الاسلامية ، وجميع النقوش تظهر بارزة على توريقات دقيقة وفروع تتدلى منها عناقيد وكيزان وبراعم . ويغلب على علبة السيو العنصر النباتى فى الزخرفة كما يظهر عنصر معمارى أصيل يتمثل فى عقد حدوى تجاوز نصف الدائرة ينبت من منكب قائم بأعلى عمود تاجه من الطراز المركب ، أما صندوق متحف بارجيللو بفلورنسة فتحفة رائعة الجمال ترتبط ارتباطا وثيقا بسابقتيها ، وفيها تتضح مهارة الصانع والنقاش لعملهما ، فهما يحذقان جيدا فن النقش الدقيق للزخارف النباتية والصور الآدمية والحيوانية . أما صندوق فكتوريا والبرت فيشبه كثيراً صندوق بنبلونه وان كان أقل منه درجة فى الأداء الفنى وفى

الثراء الزخرفي ، اذ أن العناصر النباتية في زخارفها تكاد تختفي ولا يمثلها الا توريق صغير يفتقد الدقة والتقانة (٦١) .

ويعتقد فراندس(٦٢) أن مصنعا ثالثا للتحف العاجية كان قائماً في قرطبة أو في غيرها من مدن الأندلس ، وقد أوضحت فيما سبق احتمال قيام دار صناعة شلطيش بصناعة التحف العاجية ذات الاستعمال الشعبي ، وربما ينسب الى هذا المصنع المفترض الصندوق المسطح المحفوظ بمتحف اللوفر والذى يتميز غطاؤه المسطح بجوانبه الاربعة بصور حيوانات متقابلة ، وكذلك الصندوق الصغير المحفوظ بكنيسة سان ايسيدروبليون وفيه تبرز صور أرانب متقابلة بين توريقات قليلة ، ومن المحتمل أن صناع هذين الصندوقين استلهما نقوشهما من التحف التى كانت تنتجها مدينة الزهراء الا أن زخارفهما تفتقد الانطلاقية الممثلة فى تحف الزهراء ، وتبدو نقوشهما خشنة المظهر .

وأدت الفتنة التى احتدمت نارها بقرطبة فى السنوات الأولى من القرن الخامس الهجرى الى تدمير هذه المدينة وتخريب قرطيها الزهراء والزاهرة ، مما ترتب عليه اختفاء دور الصناعة وتفرق الصناع والنقاشين الذين كانوا يشتغلون فى خدمة البلاط الخلافى إلى مناطق آمنة من الأندلس ، ولم تلبث حواضر الأندلس المختلفة أن تحولت الى مراكز فنية بفضل هجرة هؤلاء الفنانين اليها ، وتلقت قونكة التابعة لمملكة بنى ذى النون بطليطلة النقاشين القرطبيين الذى فروا من قرطبة عند هجوم البربر عليها ، وأنشأوا بقونكة دار صناعة للتحف العاجية ، مستظلين فيها بحماية ملوك طليطلة ، ولم يطل العمل بهذا المصنع أكثر من ٢٥ سنة ، فان التاريخين اللذين وصلا الينا من النقوش الكتابية بهذه التحف العاجية

(٦١) Ibid. pp. 41, 42

(٦٢) Ibid. pp.42.

هما سنة ٤١٧ هـ ، ٤٤١ هـ ، ومعنى هذا أن أول انتاج وصل الينا من هذا المصنع يحمل تاريخ سنة ٤١٧ وآخر انتاجه يحمل تاريخ سنة ٤٤١هـ وتولى العمل بهذا المصنع منذ بداية انتاجة أسرة واحدة هى أسرة زيان، وواضح من النقوش الكتابية التى تزدان بها التحف العاجية من صناعة قونكة أن انتاجه كان مخصصا لملوك طليطلة وبالذات للامير اسماعيل والد المأمون بن ذى النون .

ويتبين من مقارنه انتاج مصنع قونكة بانتاج مصنعى قرطبة والزهراء بأن علب العاج فى التحف الخلافية كانت أكثر ثراء من نظائرها انتاج قونكة ، فبينما استخدم صانع صندوق سيلوس المحفوظ بمتحف برغش فى كل وجه من أوجه الصندوق لوحا واحدا من العاج ، فان صندوق بالنثيا المحفوظ بمتحف الآثار بمدريد ينقسم كل وجه من أوجهه الى صفائح عديدة تكسو الهيكل الخشبى للعلبة ، المغطى بدوره بأغشية رقيقة من الجلد المذهب ، كما صنعت الصناديق الصغيرة الأخرى إنتاج قونكة باستثناء علبة أربونة من رقائق متعددة من العاج ، ومن الواضح أن القيمة الفنية للتحف العاجية صنعة قونكة تنحدر الى حد كبير بالنسبة للتحف القرطبية ، وتخلو تماما من كل أصالة [٦٣] ، فكل النقوش المتعلقة بالصيد أو بالصراع بين الحيوانات عرفتها قرطبة من قبل فى علبها المتأخرة كما أن النقوش الزخرفية القائمة على التوريق أو المتعلقة بصور الكائنات الحية تفتقد فى علب قونكة الحركة والرشاقة والحيوية التى تتسم بها النقوش الخلافية ، وأقدم أمثلة التحف العاجية من صناعة قونكة يتمثل فى الصندوق المحفوظ بمتحف برغش ويحمل تاريخ سنة ٤١٧هـ (١٠٢٦م)، وأحدث انتاج لهذا المصنع يتمثل فى صندوق كاتدرائية بالنثيا المحفوظ بمتحف الآثار بمدريد ويحمل تاريخ سنة ٤٤١هـ (١٠٥٠م) ، أما بقية التحف العاجية التى يمكن نسبتها الى هذا المصنع فلا تحمل تاريخا ، ولكن تشابه زخارفها مع زخارف الأمثلة المؤرخة

(٦٣) Ibid. p. 44 .

يساعد على ترجيح انتمائها الى نفس المدرسة الفنية ، ويلاحظ أن الزخارف التى تكسو هذه التحف أصبحت تتوزع داخل نطاقات أو قطاعات عرضية متحاجزة ، وتتميز صورها الآدمية أو الحيوانية بوفرتها وتكرارها مما يزيد من الشعور بالملل (٦٤).

(٣)

أمثلة من علب العاج الأندلسية
من عصرى الخلافة الأموية وملوك الطوائف

تعبر التحف المصنوعة من العاج في العصرين موضع الدراسة بحق عن ابداع فنى اسلامى لا مثيل له بخلاف ما ذهب إليه فراندس وغيره ممن كتب عن التحف العاجية الاندلسية (٦٥) ، وتتميز هذه التحف بالاضافة الى جمال زخارفها وروعة تنميقاتها ودقة نقوشها ، بأن معظمها يحمل نقوشا كتابية تتضمن أسماء من صنعت له ، وسنى صنعها ، واسم الموضع الذى صنعت فيه، الأمر الذى يرفع من قيمتها التاريخية ، ويجعل منها وثائق هامة للتاريخ والحضارة الأندلسية (٦٦) ، وتتمثل هذه التحف الأندلسية المصنوعة من العاج فى علب صغيرة اما مستطيلة الشكل غطاؤها مسطح أو على شكل تركيبه مقبرية ، أو هرم ناقص ، واما اسطوانية الشكل غطاؤها مقبب .

لقد كانت صناعة العاج الأندلسى من أهم الصناعات الفنية بالأندلس ، ويكفى للتعبير عن هذه الأهمية التحف الرائعة التى وصلت الينا ، وهى تفصح

---

(٦٤) راجع التفاصيل فى : Ferrandis, op. cit. pp. 45 - 47.

(٦٥) Ferrandis, op. cit., t.I., p. 23 - Baldomero Montoya Tejada, Marfiles Cordobeses, Cordoba, 1979.

(٦٦) محمد عبد العزيز مرزوق ، التحف المصنوعة من العاج ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، الجزء الثانى ، المجلد السابع عشر ، ديسمبر ١٩٥٥ ، ص ١ .

عن فن بلغ الغاية فى التقدم التقنى ودقة التنفيذ والأداء مع توافر كل مقومات الجمال من تطبيق مبدأ التوازن والتماثل فى توزيع التشكيلات الزخرفية المتنوعة (٦٧).

وفيما يلى عرض لأهم علب العاج الأندلسية التى يرجع تاريخ صنعها الى عصر الخلافة مرتبة وفقا لسنى صنعها .

(١) أقدم أمثلة هذه العلب العاجية علبة من عصر الخلافة أقرب ما تكون الى غلاف مستطيل الشكل مقبب يتألف من دفتين تربطهما مفصلتان صغيرتان بكل دفة منهما خمس جوفات عميقة (شكل ١) وتبدو هذه الجوفات كما لو كانت مخصصة لكور صغيرة للعب أو لحفظ الطيوب(٦٨) . ويغمر الفراغات الواقعة بين هذه الجوفات توريقات دقيقة وفروع نباتية متموجة ، حفر ما حولها حفرا غائرا بحيث بدت بارزة ، ويحف بالتجويفين المتطرفين من كل من دفتى العلبة نقش كتابى بالخط الكوفى الدقيق يتكرر فيه النص التالى : (هذا ما عمل الابنة لعبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين) (٦٩) ، والعلبة محفوظة حاليا فى المتحف الإقليمى بمدينة برغش ، وكان القومس فرنان جنثالث قد أهداها الى

---

(٦٧) GastonMigeon, Manuel d' art musulman, t.II, Les arts plastiques et industriels, Paris , 1907 , p. 128.

(٦٨) Ferrandis, op.cit. p. 52 .

(٦٩) Wiet, Sauvaget et Combe, Repertoire Chron. d'Epigraphie arabe, vol. vi, p. 159- Lévi- Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne, p. 186

ومن الجدير بالملاحظة أن ليفى بروفنسال قرأ اسم الصانع ألاينه أو ألاته ، بينما قرأها فراندس على النحو التالى : (هذا ماعمل (الا) السيدة ابنة عبد الرحمن أمير المؤمنين) ولعل المقصود بكلمة ألاينه الابنه ، وهى السيدة بنت الخليفة عبد الرحمن الناصر التى صنعت من أجلها هذه العلبة وهوديت بها استنادا الى تكرر هذه الكلمة فى النقوش الكتابية على العلبتين التاليتين .

Ferrandis, P. 51.

دير سانتو دومنجو دى سيلوس ـــــ   فى سنة ١٤٤٠ م ، واستعملت العلبة منذ ذلك التاريخ لحفظ المخلفات المقدسة للقديس سباستيان وبقايا رفات القديس برتلمى وقطعة من جلده المقدس (٧٠) ، ولا يحمل النقش الكتابى تاريخا محددا لصناعة العلبة ، وان كان ورود اسم الخليفة عبد الرحمن الناصر يدفعنا إلى حصر التاريخ بين عامى ٣١٦هـ التى تلقب فيها بالخلافة وسنة ٣٥٠هـ التى توفى فيها (٧١) . وتعبر النقوش الزخرفية على هذه العلبة القديمة عن دقة تامة فى الصناعة مما يشير الى أن فن النقش على التحف العاجية بقرطبة بلغ الذروة فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ قرطبة الخلافية ، وأن هناك تقاليد راسخة فى هذا الفن سبقت هذه العلبة التى لا يمكن أن نصدق أنها بلغت هذا القدر من الجمال فى الزخرفة والحذق فى الصناعة دون أن تكون قد سبقتها أمثلة بدأت متعثرة .

(٢) علبة مستطيلة الشكل (٤,٥ × ٩,٥ × ٧ سم) غطاؤها مسطح محفوظة اليوم بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن (شكل٢) ، ويتألف بدن العلبة وغطاؤها من كتلتين من العاج متماثلتين ركبتا معا بمفصلتين ، وتتميز زخارف هذه العلبة بالبساطة وتقتصر على توريقات وفروع نباتية مجدولة على نحو تنشأ منها تكوينات متماثلة متكررة قوامها مراوح نخيلية مصبعة ومنحنية داخل افريز بارز يزدان بحبات لؤلؤية متصلة ، ويحيط هذا الافريز بكل وجه من أوجة العلبة الأربعة ، ويشغل الافريز الأدنى من غطاء العلبة نقش كتابى بالخط الكوفى المورق ، ويحيط بهذا الشريط الكتابى افريز يزدان بدوره بحبات اللؤلؤ ، ونطالع فى النقش الكتابى النص التالى : (بسم الله هذا ما عمل الابنة السيدة ابنة عبد

---

(٧٠) Ferrandis ; op. cit. p. 52 .

(٧١) Baldomero, op. cit. p. 20 .

الرحمن أمير المؤمنين رحمة الله عليه ورضوانه) [٧٢] . وواضح من النقش الكتابى أن هذه العلبة صنعت للسيده ابنة الخليفة عبد الرحمن الناصر ،وتشير عبارة (رحمة الله عليه ورضوانه) الى أن الخليفة المذكور كان متوفيا بالفعل بحيث يسأل النقاش له الرحمة من الله ، وهذا يدعونا الى الاعتقاد بأن العلبة صنعت بعد سنة ٣٥٠ هـ الذى توفى فيه الناصر [٧٣] .

(٣) علبة مستطيلة الشكل (٨,٥×١٣×٨,٥سم) محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن (شكل٣) . تتألف كالعلبة السابقة من كتلتين متماثلتين من العاج تكونان بدن العلبة والغطاء ، ويتميز الغطاء هذه المرة بأنه مسنم أو على شكل هرم ناقص أو ما اصطلح على تسميته بالتركيبة المقبرية ، وقوام الزخرفة التى تكسو جوانب العلبة توريق من مراوح نخيلية تتفرع من سيقان متموجة ، ينبثق منها فى كل من الطرفين توريق من مروحتى نخيل منفرجتين بينهما برعم، وتتميز المراوح النخيلية الموزعة على نحو متماثل فى الطابق الادنى من التشكيل الزخرفى بالاضافة الى كونها مصبعة بأنها مختمة أيضا أى مزودة بحلقات مفرغة من وسطها ، وتزدان جوانب الغطاء بنقش كتابى بالخط الكوفى يشبه نقش العلبة السابقة نطالع فيه النص التالى (بسم الله الرحمن الرحيم . . هذا ما عمل الابنه السيدة ابنة عبد الرحمن أمير المؤمنين رحمة الله ونعمته عليه) وفى قراءة ليفى بروفنسال (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عمل الابنه / لعبد الله عبد الرحمن / أمير المؤمنين رحمة الله / ونعمته عليه)[٧٤]. والقراءة الصحيحة فى

(٧٢) من الواضح أن قراءة بلدوميرو لكلمة (الأبنه) على أنها سيدة الله قراءة خاطئة وقرأها ليفى بروفنسال (الايته) وأعتقد أن القراءة الصحيحة لها (الابنة) ولكن من الممكن لصق حرفى الألف واللام لتكون (للابنه) .

(٧٣) محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ١٨٥ .

(٧٤) Lévi- Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne, p. 186

تصورى لكلمة «الاينه» هى للابنة . وتتميز بعض حروف الكلمات بأنها تنتهى بتوريق من ثلاثة فصوص وأن حرف الحاء فى كلمة الرحمن تعلوه زهرة زنبق من ثلاث بتلات ، وتغمر جوانب الغطاء توريقات من مراوح نخيلية مصبعة وأخرى مصبعة ومختمة ، تتشابك فروعها المتموجة ، وتتداخل فيما بينها ، ويتوسط الغطاء من أعلى مقبض فضى ثبت فى وسطه شريط فضى ينتهى عند منتصف أحد الجانبين الرئيسيين للعلبة بمفصلة فضية كذلك ، ويزدان الشريط بزخرفة قوامها زهرة الزنبق متكروه .

(٤) علبة كاتدرائية سمورة Zamora المحفوظة بمتحف الآثار الوطنى بمدريد (شكل ٤) (٧٥) . هى علبة أسطوانية الشكل غطاؤها نصف كروى أو مقبب يتوسطه من أعلى الغطاء زر بارز مفصص ، ويبلغ ارتفاع العلبة ١٨ سم وقطرها ١٠,٥ سم ، ويدور حول الغطاء من أدناه نقش كتابى بالخط الكوفى البسيط ، بين افريزين بارزين يزدان كل منهما بأشرطه متتابعة نطالع فيه النص التالى : (بركة من الله للامام عبد الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين مما أمر بعمله للسيده أم عبد الرحمن على يدى درى الصغير سنة ثلاث مائة) (٧٦) ومن الجدير بالذكر أن بضعة ورقات نباتيه بسيطة تتناثر بين حروف الكتابة لتكسبها جمالا فوق جمالها. ويزدان بدن العلبة من الخارج بتوريق يتوسطه طاووسان متقابلان بينهما شجرة الحياة التى تتخذ شكل نخلة متوجة من أعلى بمروحتين نخيليتين متدابرتين تنتهيان من أدنى بفص لولبى ، بينما تنتهى بقية فصوص المروحتين بطرف أفقى مدبب ، وتتفرع من شجرة الحياة سيقان نباتيه متموجة يتخللها من أعلى طائران متدابران ومن أدنى غزالان متقابلان ، وتربط

---

(٧٥) Ferrandis, op. cit.. pp. 56, 57. – محمد عبد العزيز مرزوق ، التحف المصنوعة من العاج ، ص ٤ – عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٧٦) Lévi- Provençal, op. cit. , p.187

الغطاء بالبدن مفصلة مزدوجة من الفضة . ومن الجدير بالذكر أن هذه العلبة كانت محفوظة بكاتدرائية سمورة ، اكتشفها عالم الآثار الاسلامية الأستاذ مانويل جومث مورينو ، ثم انتقلت سنة ١٩٢٦ ، بعد مفاوضات طويلة الى المتحف الوطنى للآثار بمدريد [٧٧] ، وتعتبر هذه العلبة أكثر العلب الاسطوانية الأقدم جمالا ، وان كانت زخارفها تتسم بوجه عام بالبساطة . وتاريخ صناعتها مسجل فى النقش الكتابى ، كما أنها صنعت خصيصا كما هو واضح فى النقش ليهادى بها الخليفة الحكم المستنصر بالله محظيته السيدة جعفر التى عرفت بصبح البشكنسية أم ولده عبد الرحمن [٧٨] . أما درى الصغير الوارد ذكره فى النقش فقد كان من أشهر الفتيان الصقالبة فى بلاط الحكم المستنصر بالله ، فقد تولى حكم مدينة بياسة فى بداية عهد الخليفة هشام المؤيد بالله ، ثم أمر المنصور محمد بن أبي عامر بقتله بعد فترة قصيرة لتورطه فى مناهضة ابن أبى

---

(٧٧) Jose Ferrandis, op. cit., p. 57 .
Baldomero, Marfiles Cordobeses , p. 24

(٧٨) ولد عبد الرحمن سنه ٣٥١ هـ ، وسر أبوه الحكم المستنصر بالله لولادته سرورا عظيما إذ كان لا يولد له ، وأمه هى السيدة جعفر التى عرفت أيضا بصبح. ويبدو أن عبد الرحمن توفى وهو طفل فى سنه ٣٥٦ هـ ، فحزن أبوه لوفاته ، وكانت صبح قد أنجبت له ولدا آخر فى سنة ٣٥٤ هـ سماه هشاما ، وكان الحكم « شديد الكلف بطلب الولد لعلو سنه ، فبشر فى بعض خلواته باشتمال أم ولده (عبد الرحمن) على حمل ، فسر به وظل يترقبه ، فأتته به أول خلافته (يقصد عبد الرحمن) ثم مات طفلا ، فأحزنه ، فلما بشر بهذا (يعنى هشاما) فرح به » (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢ ص ٢٣٥) ، وكأن الله عوضه عن فقد عبد الرحمن بهشام ، ولهذا أيضا كان للسيدة صبح شأن كبير فى دولته ، ومكانة عالية ، وكان محمد بن أبى عامر يتولى وكالة عبد الرحمن باختيار جعفر المعروفة بصبح له ، فنصبه الحكم لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرحمن بمرتب قدره ١٥ دينارا فى الشهر ، فلما مات عبدالرحمن ، ظل محمد بن أبى عامر يمارس عمله فى خدمة السيدة صبح، وكانت قد ولدت هشاما ، فصرف ابن ابى عامر لوكالته فى رمضان سنه ٣٩٥ هـ (ابن عذارى ، ج٢ ص ٢٥١) .

عامر [٧٩] ، وهو الذى كان يتولى دار صناعة قرطبة ، وتحت اشرافه تم صنع هذه العلبة العاجية .

(٥) العلبة اسطوانية الشكل بمتحف فكتوريا والبرت بلندن (شكل٥).
اقتنى متحف فكتوريا والبرت هذه العلبة فى سنة ١٨٦٥ ، ولهذه العلبة غطاء نصف كروى مقبب يدور حوله من أدنى نقش كتابى بالخط الكوفى نطالع فيه النص التالى : (بركة من الله لعبد الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين مما أمر بعمله على يدى درى الصغير) [٨٠]. وشكل هذه العلبة يختلف كثيرا عن العلب أسطوانية الشكل المصنوعة فى قرطبة ، فارتفاعها قصير للغاية لا يزيد عن ٧,٦ سم وقطرها ١٠,٢ سم [٨١]،مما يدعونا الى الاعتقاد بأنها كانت مخصصة لنوع من الدهان المعطر ، أما زخارفها فتبدو وكأنها مخرمة تماما ، كما تظهر على حافتها المستديرة سلسلة من جامات رباعية الفصوص تتشابك فيما بينها عن طريق حلقات ، ويشغل كل من هذه الجامات توريق يتألف من أربعة عناصر نباتية مصلبة ، أما سطح الغطاء المقبب فتشغله أربع جامات رباعية الفصوص تدور بدورته ، بداخل كل منها صورة صقر نشر جناحيه وتطلع برأسه الى اليسار ، ويغمر الفراغات المتخلفة من هذه التشكيلات توريقات وسيقان متموجة . ويتوسط الغطاء زر مستدير بارز على شكل زهرة من ثمان بتلات ، تفصلها فيما بينها أشرطة رفيعة من حبات اللؤلؤ الصغيرة [٨٢] .

أما الزخارف فتبدو بارزة بروزاً غير مألوف فى العلب العاجية القرطبية بحيث تظهر كما لو أن النقاش قد فرغ ما عداها ، ولم يتكرر هذا الأسلوب فى النقش البارز الا فى صندوق بالنثيا المحفوظ بالمتحف الوطنى للآثار بمدريد من

---

(٧٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٨٠) Lévi- Provençal, op, cit. p. 188 .

(٨١) Baldomero, op.cit. pp. 22,32.

(٨٢) Ibid. p. 23

صناعة قونكة فى عصر دويلات الطوائف ، وقد توصلنا بفضل النقش الكتابى الذى يحمل اسم الخليفة الحكم المستنصر بالله والمشرف على صنع العلبة الى ربطها تاريخيا بالعلبة السابقة ، ومن الجدير بالملاحظة الدرجة العالية من الاتقان التى تتمثل فى صناعة هذه العلبة بحيث تعتبر بفضل دقة نقوشها وجمال زخارفها تحفة فنية رائعة الجمال لا نظير لزخارفها وتوريقاتها (٨٣).

(٦) اللوحة العاجية المحفوظة بمتحف المتروبوليتان بنيويورك (شكل ٦) يبلغ طولها ٢٠ سم وعرضها ١٠,٥ سم ، وكانت تؤلف أحد جوانب علبة مستطيلة الشكل . وتزدان معظم اللوحة بتوريق دقيق قوامه مراوح نخيلية مزدوجة وأخرى من أنصاف مراوح مصبعة أو مصبعة ومختمة ، تنحنى حينا نحو اليمين ، وحينا آخر نحو اليسار ، هذا بالاضافة الى كيزان من الصنوبر تتدلى من سيقان نباتية تشكل أشجارا للحياة وزهيرات صغيرة ، ووريقات مفردة تتناثر هنا وهناك لتملأ الفراغ ، وعلى هذا المهاد الرائع من التوريق ، وعند منتصف اللوحة تظهر جامة من حبات اللؤلؤ رأسها يؤلف عقدا ثلاثى الفصوص ، ينتهى فصاه من أدنى بحنية مقعرة تتصل بنفس التشكيل مقلوبا ، ويتكرر هذا التشكيل الهندسى يمنة ويسرة بحيث يصبح عدد الجامات : واحدة كاملة فى الوسط وثنتان ناقصتان فى الطرفين، ويشغل هذه الجامات نقوش بارزة تمثل صورة شخصين متقابلين يرقصان بين ساق نباتية ترمز لشجرة الحياة ، أحدهما امرأة والشخص الثانى فيما يبدو يمثل رجلا، وقد رفع كل منهما احدى يدية لتلامس يد زميلته، وثنى احدى ركبتيه الى الوراء بينما ترك الأخرى لتلامس قديم زميلته ، فى حين مد يده الأخرى الى جانبه. ويشغل الفراغين الواقعين بين هذه الجامات صورة طاووسين

---

(٨٣) Torres Balbás (L.), Arte hispanomusulman hasta la caida del califato de Cordoba, en: Historia de España , dirigida por Ramon Menéndez - Pidal, t. v. arte Califal , Madrid, 1957 , p. 734 .

وانظر : السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج ٢ ص ١٣٣ .

متقابلين بينهما ساق نباتيه ترمز لشجرة الحياة ، قد نشرا ذيلاهما الى أعلى ليدور مع استدارة الحنية المقعرة فى التشكيل الهندسى ، وهذه الذيول الأربعة تتخذ شكل مروحة نخيلية مختمة فى أحد الطواويس ومصبعة فى الطواويس الأخرى ، وبأعلى شجرة الحياة نقش يمثل حمامتين متدابرتين تقفان على كوزين من الصنوبر وبأدناهما صورة كلبين سلوقيين متقابلين ينظران الى أعلى ، وقد انحنى ذيل أحدهما الى أعلى ، أما الثانى فان ذيله يتخذ شكل توريق رفيع ، ويتكرر هذا التشكيل فى الفراغ الثانى المتخلف من الجامات الثلاثة ، وما زالت ترى فى أرضية اللوحة وبين الصور الآدمية والحيوانية والتوريقات بقايا لونين : الأزرق والأحمر كانا يغمران هذه الأرضية ويبرزان النقوش على نحو يثير الاعجاب ، وبمقارنة أشكال التوريق وطريقة الحفر فى هذه اللوحة بالتحف العاجية الأخرى يتبين أن اللوحة يمكن تأريخها بفترة تقارب تاريخ علبة سمورة وذلك للتشابه الواضح بين التشكيلات النباتيه وصور الطيور ، وهذا يدعونا الى الاعتقاد بأنها من صناعة قرطبة فى بداية النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (٨٤) .

(٧) الصندوق مستطيل الشكل ذو الغطاء المسطح المحفوظ بمتحف بلنسية دى دون خوان بمدريد (شكل (٧) : هو صندوق صغير يبلغ طوله ٨,٥ وعرضة ٤,٥سم وارتفاعه ٥,٨ سم ، غطاؤه مسطح يتألف من كتلتين من العاج احداهما للبدن والثانية للغطاء ، ويغمر البدن توريق قوامه مراوح نخيلية مصبعة ومختمة تنحنى بين فروع نباتيه متموجة ، ويحوط هذا التشكيل الزخرفى اطار من افريزين أملسين . وللصندوق مفصلتان ومزلاج صغير من الفضة ، وتغمر السطح العلوى للغطاء توريقات روعى فيها التماثل ، وقوامها مراوح نخيلية

---

(٨٤) Gluck (Heinrich) & Ernest Diez, arte del Islam : el arte Islamico en Espana y en el Magreb, Madrid - Barcelona - Buenos Aires , 1934, Fig . 633- Jose Ferrandis, op. cit. p. 61 .

مصبعة ومختمة ، ممتدة أو منحنية ، ويدور بالغطاء من جوانبه الأربعة نقش كتابي بالخط الكوفي نصـه (بسم الله بركة من الله ويمن وسعادة و/ سرور للأحب ولادة مما / عمل بمدينة الزهراء سنة خمس / وخمسين وثلاث ماية) (٨٥) . ويقصد بعبارة « للاحب ولادة » أقرب أمهات الولد (٨٦) من محظيات الخليفة الحكم المستنصر بالله الى قلبه ، وهي السيدة جعفر المسماة أيضا بالسيدة صبح البشكنسية التي أنجبت للخليفة المحروم من الانجاب ولدين ، الأول عبد الرحمن وقد توفي ، والثاني هشام الذي أصبح وليا للعهد وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه وتلقب بالمؤيد بالله ، ومع ذلك فلو كانت السيدة صبح هي المقصودة فعلا بالعبارة السابقة لاستخدمت عبارة «لأحب ولادة» بدلا من « للأحب ولادة » ، وربما كان ذلك عاملاً من عوامل الاختلاف بين الباحثين في قراءتها ، فقد قرأها بلد وميرو مونتويا على أنها « للأخت ولادة» ويعتقد أنها أخت الخليفة الحكم المستنصر وتسمى ولادة (٨٧) . والواقع أن هذه القراءة تبدو أكثر منطقية، فمن شقيقات الحكم المستنصر بالله من أمه السيدة الكبرى : مرجان وهند وولادة (٨٨).

ومع ذلك فانني أميل الى الأخذ بالقراءة الأولى وهي « للأحب ولادة » فقد جرت العادة في النقوش التذكارية على إغفال ذكر أسماء نساء الخلفاء والأمراء تطبيقاً للتقاليد الشرقية التي تستهجن ذكر اسماء الزوجات أو أمهات الأولاد (٨٩) . ولو أننا افترضنا جدلا أن القراءة الثانية « للأخت ولادة » هي

---

(٨٥) Lévi- Provençal, op, cit. p. 187
Ferrandis , op. cit. p. 62.

(٨٦) Lévi- Provençal, op, cit. p. 183 .

(٨٧) Baldomero Montoya, Marfiles Cordobses, p. 29

(٨٨) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥، تحقيق بدرو شالميتا وكورينطي وصبح ، ص ١٣ ، ١٨ .

(٨٩) محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص ١٨٧ .

المقصودة ، وأنه يفهم من العبارة أخت المستنصر بالله المسماة ولادة على غرار ولادة بنت المستكفى بالله ، فلا يجوز فى هذه الحالة ذكر اسمها دون أن يسبقه لفظ السيدة على غرار النقش الكتابى المسجل على غطاء علبة كاتدرائية سمورة التى أشرنا اليها من قبل دون الاشارة الى أنها أخت الخليفة الا فى حالة التمييز بين أكثر من اسم لولادة ، وهذا ما لم يحدث ، ولم تشر اليه المصادر العربية .

ولهذا كله أرى أن هذا الصندوق صنع خصيصا ليقدم الى السيدة صبح هدية باعتبارها أفضل أمهات أولاد الخليفة أو بمعنى أصح أقرب محظياته الى قلبه باعتبارها أما لولدين أنجبتهما للخليفة ، لا سيما وأن الحكم المستنصر بالله كان على حد قول ابن عذارى « شديد الكلف بطلب الولد لعلو سنه » فارتفعت لذلك منزلة السيدة صبح ، وأصبحت لها مكانة سامية بين زوجات الخليفة وجواريه ، وفى هذه الحالة نغفر للنقاش اضافته لحرف اللام الأولى بحيث تصبح القراءة الصحيحة « لأحب ولادة » .

وأيا ما كان الأمر فان أهمية هذا النقش الكتابى تتمثل فى ذكر اسم مدينة الزهراء التى صنع فيها الصندوق ، وأغلب الظن أنه صنع على يدى فنان يدعى خلف الذى ورد اسمه فى علبة مماثلة سنتحدث عنها فى المثال التالى ، وهذه هى المرة الأولى التى يرد فيها اسم الصانع مثبتاً فى النقش الكتابى[٩٠] .

---

(٩٠) ربما يكون نفس خلف بن أيوب أحد فتيان الخليفة الناصر ، وكان يتولى خطة خزانة السلاح (ابن حيان، المقتبس ، ج ٥ ، ص ٤٨٨) شأن محمد بن تمليخ الذى ورد ذكره فى نقوش المحراب بجامع قرطبة ، وكان صاحب شرطة الحكم المستنصر بالله .

(٨) صندوق كنيسة فيتيرو "Fitero" بنبرة "Navarra" (شكل ٨) : هو صندوق مستطيل الشكل طوله ١٢,٨ سم وعرضه ٩,٨ سم وارتفاعه ٨,٣سم، غطاؤه مسطح ، يزدان هو وبدن الصندوق بتوريقات تشبه الى حد كبيرتوريقات الصندوق السابق مع فروع متموجة وملفوفة وكيزان صنوبرية تكسو أحد الجانبين القصيرين للصندوق ، ويدور بجوانب الغطاء نقش كوفى مورق نصه (بسم الله بركة من الله ويمن وسعادة ونعمة / للأحب ولادة مما عمل بمدينة الزهراء سنة خمس/ وخمسين وثلاثماية عمل خلف) [٩١].

(٩) العلبة أسطوانية الشكل المحفوظة بالجمعية الاسبانية بنيويورك (شكل٩): هى علبة أسطوانية الشكل غطاؤها نصف كروى مقبب ، يبلغ ارتفاعه ١٦ سم وقطرها ١٠ سم ، ويتوسط الغطاء رأس بارز مستدير ومفصص ، وترتبط هذه العلبة بسابقتيها لأمرين : الأول أن زخارفها النباتيه قوامها أوراق الاكنثس والمراوح النخيلية المصبعة والمختمة التى تتقابل رؤوسها وتنثنى فى انحناءات بين فروع متموجه تشبه نظائرها فى العلبتين السابقتين . والثانى أن اسم خلف وهو اسم الصانع مسجل بين المفصلتين اللتين تثبتان الغطاء ببدن العلبة . وقد سبق أن قرأنا اسم هذا الصانع فى النقش الكتابى المسجل على كل من علبتى متحف بلنسية دى دون خوان وكنيسة فيتيرو ، مما يشير الى أن العلبة موضوع الدراسة صنعت هى الأخرى بمدينة الزهراء وان لم ينص على ذلك فى النقش الكتابى الذى يشتمل على ثلاث أبيات من الشعر نصها :

(٩١) Lévi- Provencal, op, cit. p. 187 .
Jose Ferrandis, op. cit. p. 63 .

منظــــرى أحســن منظــر نهــد خــود لم يكســــــر

خلعــــه الحســن علـــى حلة تزهــــــو بجـوهـــــر

فــأنــا ظـــرف لمســــــك ولكافــور وعنـــــبـــــر (٩٢)

ويؤكـد البيت الأخير الغرض من صنع هذه العلبة وهو حفظ الدهون العطرية (المسك والكافور والعنبر) . والعلبة اجمالا بزخارفها النباتيه وهيئتها ، تشبه الى حد كبير علبة سمورة وان كانت أقل منها رشاقة ، وتذكرنا زخارفها بزخارف صندوقى متحف بلنسية ذى دون خوان وكنيسة فيتيرو ، ومفصلة هذه العلبة مزدوجة قد صنعت من الفضة وكذلك مقبضها الذى يتدلى منه المزلاج ، وعلى هذا الاساس يمكننا تأريخ هذه العلبة بفترة مقاربه لسنة ٣٥٥ هـ التى صنع فيها الصندوقان رقمى ٧، ٨ .

(١٠) غطاء على شكل هرمى ناقص لصندوق مفقود مستطيل الشكل ، يحتفظ به متحف فكتوريا والبرت بلندن : لم يصل إلينا منه غير غطائه وهو قطعه واحدة من العاج طولها ١٣سم وعرضها ٧,٥ سم وارتفاعها ٣ سم ، ويحيط بسطحه العلوى وجوانبه الأربعة المائلة افريز املس يطوق توريقات ، تنبت من فروع ملتوية ، وقوام هذه التوريقات مراوح نخيلية مصبعة ومختمة فى تشكيلات متناسقة بلغت الغاية فى الجمال سواء من حيث التوازن فى التوزيع أو من حيث التماثل والتكرار . وتشبه هذه الزخارف النباتية الرشيقة التى تتميز بمرونتها وانطلاقها المتحرر ودقة نقشها نظائرها فى العلب المنسوبة الى خلف مما يدعونا الى الاعتقاد بأنها من نفس الحقبة ، وانها نتاج مصنع للتحف العاجية مقره مدينة الزهراء (٩٣) .

---

(٩٢) ارجع الى هامش رقم ٥٨ .

(٩٣) Baldomero. op. cit. p. 30 - Ferrandis, op. cit. p. 66.

(١١) الصندوق مستطيل الشكل المحفوظ بمتحف الفنون الزخرفية بباريس (شكل١١) غطاء هذا الصندوق مسطح ، ويبلغ طوله ٢٠ سم ، وعرضه ١٢,٥ سم وارتفاعه ١٠سم (٩٤) ، قد كسيت جوانبه وغطاؤه بتوريقات نباتية وثمار وبراعم وازهار وفروع لولبيه تشبه كثيرا نظائرها فى الصندوق الفضى المعروف بصندوق جرندة Gerona. ويميل بلد وميرو الى الأخذ برأى جومث مورينو القائل بأنه يدخل فى جملة انتاج خلف (٩٥) ، ولكن فراندس يعتقد أنه لا ينتمى الى مجموعة التحف التى أنتجها خلف رغم أنه يحمل نفس تاريخ صنع هذه العلب وهو سنة ٣٥٥ هـ ، ويرجح أنه كان من بين الانتاج المخصص للعامة (٩٦) . وتتميز الزخارف النباتية التى تغمر الجوانب الأربعة للصندوق بأنها تنحصر داخل خطوط تمثل عقودا مدبيه تشكل منكبى كل منها قاعدة مثلث رأسه المدبب يمتد الى أدنى ، ويتضافر ساقا المثلث عند تلاقيهما ليمتدا بعد ذلك يمنة ويسرة ، ويتحولان إلى فروع لولبية تشغلها براعم ، وتتفرع منها توريقات ملفوفة مصبعة تشبه الكسوات الحجرية بعضادات الأبواب فى المجلس الفاخر بمدينه الزهراء . وقد تكرر شكل العقود المدبية المرتكزة على مثلث مدبب الرأس فى سنجة عقد بالمجلس الفاخر من قصر عبد الرحمن الناصر بمدينه الزهراء (٩٧) . ونشهد هذا التشكيل مقلدا فى بعض زخارف المئذنه

---

(٩٤) Ferrandis , p. 67

(٩٥) Baldomero, op. cit. p. 30.

(٩٦) Ferrandis , op. cit. p. 67.

(٩٧) Torres Balbas, La mezquita de Cordoba Y las Ruinas de Madina al-Ẓahra, Madrid, 1952, p. 151 .

الغربية بجامع الحاكم بأمر الله فى القاهرة[٩٨]، وكذلك فى تشكيل زخرفى بجامع الحاكم نفسه [٩٩] ، كما تشهده ، محورا بعض الشيئ فى التفاصيل الزخرفية بالمحراب الخشبى لمسجد السيدة رقية المحفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة [١٠٠] . ويدور بحافة الغطاء المسطح نقش كتابى نصه : (بسم الله بركة من الله دائمة ونعمة كافية ويد عالية وعافية شاملة ونعم سابغة وبركات متواترة وسلامة لصاحبه مما عمل فى سنة خمس وخمسين وثلاث مائة) [١٠١].

(١٢) العلبة أسطوانية الشكل المحفوظة بمتحف المتروبوليتان بنيويورك من مجموعة دافيس(شكل ١٢) : هى علبه بدون غطاء ، يبلغ قطرها ١١,٥ سم وارتفاعها ٦,٥ سم ، يزدان بدنها بسيقان نباتيه متداخلة ومتموجة ، تنبثق منها مراوح نخيلية وبراعم ، وتشكل هذه السيقان لفائف تتوسطها شجرة الحياة ، ويشغلها فى القسم العلوى من العلبة شواهين تقف على أوراق نباتيه ، بينما يشغل القسم السفلى منها شواهين تبدو متقابلة ومتدابرة بسطت أجنحتها بعض البسط ، ويختلف أسلوب النقش فى الزخرفة النباتيه بهذه العلبة عن طريقة

---

(٩٨) أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج١ ، العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٠٢ لوحة رقم ٧٢ ، أنظر

Elsayed Abdel Aziz Salem, De nucvo Sobre las influencias de al-Andalus en el arte Musulman de Egipto, en " Cuadernos de la Alhambra" 15 - 17 , Granada, 1979 - 1981, p. 231 .

(٩٩) أحمد فكرى ، المرجع السابق ، ص ١٨١ ، شكل ٣٣ .

(١٠٠) Elsayed Abdel Aziz Salem, op. cit . p. 231 .

(١٠١) Lévi- Provençal, op, cit. p. 188.

Gomez Moreno, los marfiles Cordobeses y sus derivaciones, Archivo Espanol de arte y arqueologia, 1921, p.4 .

النقش فى زخارف المجموعة الخلافية ، إذ أن السيقان النباتيه فى هذه العلبة والفروع تبدو ملساء غير مشقوقة الوسط .

(١٣) العلبة أسطوانية الشكل المحفوظة بمتحف اللوفر (شكل ١٣ ,١٤ ,١٥ ,١٦) : هى علبه كاملة تتألف من بدن أسطوانى الشكل وغطاء مقبب نصف كروى ، يبلغ ارتفاعها ١٥ سم وقطرها ٨ سم ، ويزدان السطح الخارجى للبدن الأسطوانى بأربع جامات مثمنة الفصوص تحصر إحداها بداخلها نقشا يمثل صورة فارسين يمتطيان جوادين متقابلين بينهما نخلة متعددة المراوح ، يتدلى منها عراجين التمر ، ويمسك كل من الفارسين بيده اليمنى بعض التمور بينما يمسك باليد اليسرى لجام الجواد ، وعلى مؤخرة كل من الجوادين صورة سنجاب ارتفع ذيله ، وقبض بيده على ذيل صقر يتكىء برجليه على رأس الفارس ، وتتمثل فى الفراغات الواقعة بين هذه الجامة الثانية الملاصقة لها بأعلى العلبة من الجهة اليمنى صورة نسر قد بسط جناحيه ونظر الى طائر يشغل الفراغ العلوى ، ويشغل الفراغ الأدنى نقش يمثل رجلين يتصارعان ، أما فى الجهة اليسرى فتظهر صورة وحشين يفترسان غزالين ، وبأدنى العلبة من الجهة اليسرى نقش يمثل تيسين يتناطحان ، أما الجامة الثانية فيتمثل فى وسطها نقش أسدين متدابرين يثبان على وعلين رأساهما متدابرتان ، وتفصل بينهما شجرة الحياة ، وفى أعلى الصورة من جهة اليمين نقش يمثل صقرين متدابرين، وفى أدناها صورة حيوانين مجنحين . أما الجهة اليسرى فتظهر النقوش اليمنى من الجامة السابقة . ويتوسط الجامة الثالثة من أعلى مجلس طرب وشراب أبطاله شخصان يجلسان القرفصاء ، الأيمن منهما يمسك بمروحة والثانى يمسك بيده اليمنى قارورة ، ويتوسطهما عواد واقف على قدميه يعزف على أوتار عود ، وبأدنى النقش شكل أسدين متدابرين ذيل كل منهما يتخذ شكل مروحة نخيلية .

وبأعلى الجامة من الجهة اليمنى نقش يمثل صيادين متدابرين يمسك كل منهما بصقر ويحمل بيده اليسرى سلاحاً ، وبأدنى النقش شكل تيسين متقابلين . ويشغل الجزء العلوى من الجهة اليسرى النقش الذى يمثل الصقرين المتدابرين اللذين أشرنا اليهما من قبل ، أما فى الجزء الأدنى فنشهد شكل الحيوانين المجنحين اللذين يشغلان الجانب الأيمن من الجامة الثانية .

أما الجامة الرابعة فيتوسطها صيادان متدابران يهاجم كل منهما وكرا للصقور ، وقد وضحت فى النقش طيات ثوبيهما ، وبأدنى الجامة نقش يمثل حيوانين يلتهمان قدمى الصيادين سالفى الذكر ، ويزدان الغطاء بأربع جامات مفصصة متشابكة تضم صورا تمثل فارسا يحمل صقرا ، وطاووسين متقابلين بينهما شجرة ، وأسدين متدابرى الجسم متقابلى الرأس ، وغزالين متقابلين ، ويشغل الدوائر الصغرى الواقعة بين الجامات نقوش تمثل حيوانات صغيرة وطيور . ويدور بالحافة السفلى من الغطاء نقش كوفى نصه : (بركة من الله ونعمة وسرور وغبطة للمغيره بن أمير المؤمنين رحمه الله مما عمل سنة سبع وخمسين وثلاث مائة) (١٠٢) .

والمغيرة الوارد اسمه فى النقش هو أصغرأبناء الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وشقيق الحكم المستنصر بالله ، فلما مات الحكم فى رمضان سنة ٣٦٦ هـ تآمر الفتى فائق النظامى ، صاحب البرد والطراز ورأس طائفة الفتيان الصقالبة ، وصاحبه جؤذر صاحب الصاغة والبيازرة ، على مبايعة المغيرة بالخلافة بدلا من هشام لصغر سنه ، على أن يقر هشاما ابن أخيه على العهد بعده ، وكان جعفر بن عثمان المصحفى قد بلغه ذلك ، فأشار على أصحابه بقتل المغيرة قبل أن

(١٠٢) Lévi- Provencal, op, cit. p. 188

يبلغه خبر موت أخيه ، فيتولى هذه المهمة محمد بن أبى عامر ، وتم قتل المغيرة خنقا فى مجلسه ، وعلق جسده فى مخدع يتصل بذلك المجلس بحيث يظهر وكأنه انتحر، وأشاع ابن أبى عامر أنه خنق نفسه عندما أكره على الركوب لمبايعة هشام ابن أخيه الحكم ، فأهدر دمه [١٠٣] ، ويجنح بلد وميرو بخياله الى الاعتقاد بأن هذه العلبة صنعت فى المشرق الاسلامى ثم جلبت إلى قرطبة [١٠٤] حيث أضيفت النقوش الكتابية ، استنادا على أن الجامات المفصصة والنقوش الآدمية والحيوانية المتقابلة والمتدابرة بين أشجار الحياة ، والأرضية التى يغمرها التوريق ، والغطاء الذى ازداد تقبيبه ، كل ذلك يظهر لأول مرة فى التحف العاجية القرطبية . وللرد على هذا القول لابد أن نقارن بين هذه التفاصيل الزخرفية وبين زخارف الأحواض الرخامية صناعة مدينة الزهراء ، لكى نشهد التشابه الكبير بين الزخرفتين الأمر الذى ينفى القول بأنها من صناعة مشرقية .

(١٤) العلبة أسطوانية الشكل المحفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن (شكل١٧، ١٨) : هى علبه أسطوانية الشكل غطاؤها مقبب به كسر ملحوظ ، ويبلغ قطرها ١١,٥ سم وارتفاعها ١٨,٥ سم ، وقد آلت هذه العلبة الى المتحف المذكور منذ سنة ١٨٨٠ ، وعلى الرغم من تغير اللون الطبيعى لعاج هذه العلبة باعتباره أقل جودة من عاج علبة اللوفر الا أنه بقيت من التلوين القديم بقية تتمثل فى اللون الأزرق بالنسبة للرسوم البارزة والأحمر للأرضية أو البطانه. وتتألف زخارف البدن المستدير من ثلاث جامات مفصصه ترتبط فيما بينها عن طريق حلقات ، وتحصر رسوما بارزه آدمية وحيوانية مختلفة : ففى احدى الجامات نقش يمثل شخصا مهما ربما أميرة تجلس القرفصاء فى هودج يحمله فيل ، ويحرسها

(١٠٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

(١٠٤) Baldomero, op. cit. p. 41 .

رجلان يسيران على الأقدام ، أحدهما وهو الأيمن يمسك الهودج باحدى يديه ويحمل فى الأخرى مذبة ، والشخص الآخر على يسار الهودج يبدو وقد رفع احدى ساقيه الى أعلى وأمسك بيده اليسرى سيفا ، وكأنما يهم بارتقاء مرتفع من الأرض موجها ببصره نحو سيدته ، ويملأ الفراغات بأعلى الجامة نقوش تمثل كلبا يطارد أرنبا يعدو ، وأسدين مجنحين متقابلين ، ويعلو ذلك صورة وحشين يلتهمان غزالين . وفى جامة أخرى تبرز صورة سيد يجلس القرفصاءعلى سرير وقد أمسك بيده اليمنى علما أو مروحة ، ووقف على يمينه ويساره خادمان أحدهما يمسك بيده اليمنى مذبة وباليسرى قارورة ، والآخر يمسك بيده سيفا، وبأدنى السرير صورة طائرين متدابرين . أما الجامة الثالثة فتشتمل على نقش يمثل فارسا يمتطى صهوة جواد يهم بالسير ، وقد أمسك الفارس بيده اليسرى لجام الجواد وباليمنى صقرا ، فى حين يظهر وراءه نقش يمثل كلبا سلوقيا ، ويتقدم الجواد كلب آخر يوجه رأسه الى الخلف ، ويملأ الفراغات نقوش تمثل صور صقور وغزلان بين توريقات وفروع لولبيه .

وتنقسم زخارف الغطاء الى جامات صغيرة مفصصة تحصر بداخلها نقوشا تمثل طاووسين ، وغزلانا ، وصقورا تنهش أرانب برية . أما الفراغات فتشغلها طيور صغيرة تقف بين توريقات وسيقان نباتيه ملتفة . ويحيط بغطاء العلبة من أدناه نقش كوفى نصه (بركة من الله ويمن وسعادة لزياده بن أفلح صاحب الشرطة العليا عمل فى سنة تسع وخمسين وثلاثة مائة) (١٠٥) ويعتقد بلد وميرو أن هذه العلبة مجلوبة من المشرق الاسلامى وأضيف اليها النقش الكتابى وبعض

(١٠٥) Lévi- Provençal, op, cit. p. 188 - jose Ferrandis, op. cit. t. I, pp. 72, 73

توريقات متفرقة من طابع خلافى لاصلة لها بالفنون المشرقية (١٠٦) . والواقع أن مدرسة قرطبة فى صناعة العلب العاجية وزخرفتها لم تكن فى حاجة الى علب ترد من المشرق ، فصور الحيوانات المتقابلة والمتدابرة والصور الآدمية كانت من الرسوم الشائعة فى زخارف الأحواض الرخامية وفى بعض المنسوجات ، وليس هناك أى دليل يستند عليه بلدو ميرو فى نسبة هذه العلبة الى المشرق أكثر من قلة زخارفها النباتية وكثرة الصور الحيوانية والآدمية التى تمثل مناظر لصيد الغزلان أو صور عقبان ووحوش تفترس غزلانا وأرانب برية ، أو صورة فيل يحمل هودجا ، وهذا فى حد ذاته لا ينهض دليلا على أن العلبة قد جلبت من المشرق ، ويكفى أن ينقل الصانع بعض هذه الصور من كتاب مصور مثل كتاب كليلة ودمنه وكتاب السند هند على سبيل المثال وما أكثر هذه الكتب المشرقية التى جلبت من المشرق وأثرت مكتبات قرطبة على وجه الخصوص (١٠٧)، وسنرى فى الأمثلة المقبلة الكثير من هذه الصور التى تدل على أنها صناعة محلية خالصة شكل (١٩ ، ٢٠)

(١٥) بدن علبة عاجية اسطوانية الشكل بدون غطاء ، محفوظ بمتحف اللوفر : يبلغ ارتفاع هذا البدن ١٠ سم وقطره ١١ سم ، ويزدان بأربعة اشرطة مستديرة تربطها فيما بينهما حلقات أو عقد مستديرة تتوزع بين الجامات المستديرة وبين الشريطين اللذين يدوران حول هذا البدن من أعلاه ومن أدناه. ونقوش هذه العلبة لا تختلف كثيرا عن نقوش العلبة السابقة من حيث تفاصيل

---

(١٠٦) Baldomero, op. cit. p. 43.

(١٠٧) عن الكتب المشرقية المصوره التى دخلت الأندلس انظر ابن سعيد المغربى ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، ج١ القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٤٥ .
Angel Gonzalez Palencia, Moros y Cristianos, Madrid, 1945, p. 36 .

الصور الآدمية والحيوانية ، ففى إحدى هذ الجامات المستديرة صورة فارس يمتطى صهوة جواد وقد أمسك بكلتى يديه صقرين ، وفى الجامة الثانية صورة سيدين[١٠٨] يجلسان على حشية غليظة على الطريقة الشرقية ، أحدهما يجلس القرفصاء وقد أمسك باحدى يديه كأسا ، والآخر عواد قد رفع إحدى ركبتيه ليسند عليها عودا يمسك مفاتيحه بيد ويعزف على أوتاره باليد الأخرى ، وفى الجامة الثالثة صورة غزالين متدابرين وقد وثب عليهما ذئبان وشرعا فى التهامهما أما الجامة الرابعة فيشغلها نقش يمثل أسدين متقابلين وتحت أرجلهما حيوانات خرافية ووعول وطيور وطواويس متقابلة أو متدابرة . ومن الغريب أن الزخرفة النباتية تكاد تقتصر ، على بضع ورقات من الأكنتس وشجرة تفصل بين الاسدين اللذين يشغلان الجامة الرابعة ، ولما كانت هذه العلبة لا تحمل نقشا كتابياً يتضمن تاريخ صنعها شأن العلب العاجية الأخرى ، فقد أصبح من العسير علينا تحديد تاريخ دقيق لصنعهــا ، ولكن تشابهها مع علبة المغيرة يدعـونا الى ارجاعهــا الى نفس الفــترة[١٠٩] ، وإن كان بلدو ميرو يعتقد أنها مجلوبة من المشرق.

(١٦) علبة اسطوانية الشكل غطاؤها مسطح من مجموعة الكونتيسة دى بيهاج بباريس(شكل ٢١) : يبلغ ارتفاع هذه العلبة ١٠ سم وقطرها ٧,٥ سم وهى تشبه فى تفاصيلها الزخرفية العلبتين السابقتين ، وان كانت زخارفها تتضمن بعض التطور الذى يتمثل فى حركة بعض الحيوانات ، ووفرة التوريقات . وتتميز هذه العلبة بكثرة الجامات التى ترتبط فيما بينها بأشرطة تتخللها سلسلة من الحلقات أو ساق نباتية مجدولة ،وتشغل الجامات المستديرة القسم الأدنى من العلبة فى حين يشغل القسم الأعلى ما يشبه العقود المغلقة من أدنى ، وتحتشد

(١٠٨) يعتقد بلدوميرو أنهما سيدتين (أنظر .Baldomero , op. cit. p.44)

(١٠٩) Ferrandis, op. cit P.74 .

فى الجامات المستديرة نقوش تمثل طيورا وحيوانات فى حين تغمر العقود مراوح نخيلية وسيقان نباتية روعى فى توزيعها التماثل والتعادل ، ونلاحظ أنه يشغل احدى الجامات المستديرة صورة وعلين يتناطحان ، وفى جامة أخرى صورة نسر قد بسط جناحيه ووقف على حجلة أو حمامة ، وفى جامة ثالثة صورة غزالين متقابلين التفت عنقاهما ، وتتكرر هذه الصورة فى الجامة الرابعة عند الموضع الذى ثبتت فيه المفصلة النحاسية . أما غطاء العلبة فتحيط به عقود مفرطحة مدببه الرؤوس أحدها يحصر بداخله وجه رجل يبدو كما لو كان قناعا ، وعقد آخر بداخله نقش يمثل حيوانين متقابلين ، ويتكرر هذا الموضوع بالتناوب مع التشكيل السابق ، وأغلب الظن أن الغطاء حديث الصنع لأن زخارفه ذات طابع يختلف تماما عن طابع الزخارف المنقوشة على مسطح البدن . وبسطح العلبة توريقات ونقش كتابى بالخط النسخى تتعذر قراءته (١١٠) .

(١٧) علبة كاتدرائية بنبلونة : هى صندوق صغير الحجم مستطيل الشكل يبلغ طوله ٣٥ سم وعرضة ٢٢ سم وارتفاعه ٢٢سم ، وغطاؤه يتخذ شكل تركيبة مقبرية (شكل ٢٢, ٢٣, ٢٤). وكان مودعا بديردى ليرى De Leire ويضم رفات القديسة سانتا نونيلونا Nunilona ثم انتقلت ملكيته الى كنيسة سانتا ماريا الكبرى بساجويسا Sanguesa ، وانتهى به المطاف الى كاتدرائية بنبلونة. والصندوق المذكور صنع خصيصا للمظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبى عامر . وهناك علبة أخرى مخصصة لعبد الملك تحتفظ بها كنيسة لاسيو بمدينة براجا Braga ، وتعتبر زخارف صندوق بنبلونه أجمل وأروع أمثلة العلب العاجية الأندلسية ، وأكثرها دقة فى الأداء ، وتنوعاً فى الصور ، وتعبيراً عن الحركة ، فقد قسمت كل جوانبها الأربعة وغطاؤها الى جامات عديدة مثمنه الفصوص

---

(١١٠) Ibid-. p . 75

على كل مسطحات الصندوق باستثناء السطح الأفقى للغطاء الذى نقشت فيه دوائر ثلاثة ، وجميع هذه الجامات مفصصة أو مستديرة ترتبط فيما بينها بفضل الشرائط المجدولة التى تعقد بينها ، وتكسوها جميعا نقوش تمثل جوانب عديدة من المجتمع الأندلسى (١١١) : ففى أحد الجانبين الطويلين من الصندوق ثلاث تكوينات تمثل مجالس طرب وشراب ، فى الجامة الوسطى مجلس غناء وموسيقى يظهر فيه ثلاثة أفراد أوسطهم عواد يجلس القرفصاء على حشية ويعزف بيده على عود ، بينما يجلس الآخران على توريقات ، الأيسر منهما ينفخ فى مزمار وقد رفع احدى ركبتيه ، أما الأيمن فقد طمست معالم وجهه بسبب المزلاج الذى يغلق به الصندوق . والجامة اليمنى تمثل نقوشها صورة شيخ ملتحى حرص النقاش على تصويره بحيث يبدو أكثر ضخامة من الآخرين ، يلبس غلالة شفافة واسعة الكمين ويحمل باحدى يديه قارورة وبالأخرى باقة من الزهور، ومن الجدير بالملاحظة أنه يحمل فى اصبعه البنصر خاتماً ضخماً، وقد جلس على حشية كبرى نصبت فوق حيوانين متدابرين ، ورفع إحدى ركبتيه، وقد غمرت وجهه مظاهر الغبطة والسعادة ، ويقف على يمينه ويساره خادمان فى حجم أصغر ، أحدهما يحمل بيده اليسرى مروحة مربعة الشكل وبالأخرى قارورة ، فى حين يمسك الآخر بيده اليمنى مذبة وباليسرى قارورة . أما الجامة اليسرى فتمثل نقوشها شخصين متقابلين يجلسان القرفصاء بين شجرة تتدلى منها الثمار وعلى حشية كبيرة نصبت فوق حيوانين متدابرين ، ويلبس كل منهما جبة فضفاضة مخططة واسعة الاكمام ، ويبدو الشخص الجالس الى اليمين وقد رفع ذراعه اليمنى وأمسك بيده بعض الثمار ، فى حين أمسك بيده اليسرى باقة من الزهور ، أما الشخص الآخر فقد مد اليه يده اليسرى وهو ممسك بقارورة فى حين أمسك بيده اليمنى مزمارا ، ويعلو الجامة الوسطى من جهة

---

(١١١) ارجع فى ذلك إلى بحثى : صور من المجتمع الأندلسى فى عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف ، من خلال النقوش المحفورة فى علب العاج ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد ١٩ ، مدريد ١٩٧٨ ص ٦١ - ٨١ .

اليمين واليسار نقش يمثل امرأة متربعة بين زهور وثمار ومراوح نخيلية ، ويكسو الفراغين بأدنى وجه الصندوق شجرتان مركزيتان تنبت منهما فروع ملتوية وسيقان متموجة ، تتدلى منها مراوح مصبعه وكيزان وعناقيد ، ويعتقد فراندس أن نقش الجامة اليمنى يمثل شخص الخليفة ، إذ ظهرت صورته بحجم كبير ، ووقف بجواره خادمان (١١٢) واعتقد أن تمثيل الخليفة فى مثل هذا المجلس أمر مستهجن وفاضح لمكانته الروحية الكبرى . وفى تصورى أنه يمثل شخصية لها قدرها كشخص الحاجب المظفر سيف الدولة عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر الذى خصص له الصندوق وفقا للنقش الكتابى الذى يدور بأدنى الغطاء ، ولا يعقل أن يظهر شخص الخليفة فى هذه الصورة المزرية .

أما الجانب الطويل الآخر فقد خصصت نقوشة لتمثيل مناظر مبارزات أو صراع بين الوحوش : ففى الجامة الوسطى تبرز صورة صياد ملتح يصارع أسدين فى آن واحد ، وقد أمسك بيده اليسرى رمحا يطعن به أسدا يهم بافتراسه ، ويحمل بيده اليمنى درعا مستديرا (١١٣) . وفى الجامة اليمنى صورة محاربين متقابلين بين شجرة الحياة التقليدية ، يركب كل منهما فيلا ويمسك باحدى يديه سيفا ، وبالأخرى درعا مستديرا . أما الجامة اليسرى فتمثل نقوشها مبارزة بين فارسين متواجهين بين شجرة الحياة ، ويركب أحدهما جوادا قد رفع احدى أرجله الأربعة ويهم الفارس الأيمن بطعن خصمه برمحه ، فيتلقاه بدرعه ويرفع سيفه على رأس عدوه ، وتغمر الفراغات المتخلفة من هذه الجامات توريقات وثمار . أما الجانبان القصيران من جوانب بدن الصندوق فتظهر فى نقوش أحدهما جامتان : اليمنى تمثل وحوشا ضارية تثب على غزالين متقابلين بينهما شجرة الحياة ، أما اليسرى فتظهر فى نقوشها صورة حيوانين مجنحين متقابلين بين شجرة الحياة ، ويعلو الفراغ القائم بين الجامتين نقش يمثل صيادا يتسلق

---

(١١٢) . Ferrandis, op. cit. p. 78

(١١٣) نقشت فى حافة الدرع عبارة نصها : (بسم الله بركة من الله يمن وسعادة) وفى الوسط (عمل خير) .

شجرة الحياة وينتظره بالفراغ الأدنى أسدان يتطلعان اليه وقد فغر كل منهما فاه :
أما الجانب الرابع فيزدان بدوره بجامتين ، اليمنى تشتمل على حيوانين أشبه بتيسين مجنحين متقابلين بينهما شجرة الحياة ، والجامة اليسرى تمثل وحشين متقابلين يثبان على غزالين وينهشان عنقاهما . أما الغطاء فقد قسمت جوانبه الأربعة المائلة الى عشر جامات صغيرة مفصصة ، تمثل نقوش الجامتين الوسطى في اللوحين الطويلين فرسان يتصيدون وحوشا وقد أمسك أحدهم بباز ، بينما أمسك شخص آخر برمح يطعن به خنزيرا برياً ثنى رأسه الى أعلى وظهرت على وجهه علامات الألم ، وتتوسط لوحا آخر جامتان تمثل نقوشهما صورا لمحاربين يركب كل منهما فيلا ، ويحمل أحدهما بيده سيفا والآخر درعا ، أما نقوش كل من الجامتين المتطرفين في أحد اللوحين الطويلين فتمثل صورة أسد ينقض على خنزير برى ويفتك به ، وفي اللوحة الأخرى صورة عقاب قد بسط جناحيه ، ويزدان اللوح المسطح بأعلى الغطاء بثلاثة دوائر تمثل نقوش كل من الدائرتين اليمنى واليسرى صورة أسد يلتهم غزالا ، بحيث تظهر صورة الأسدين في وضع يجعلهما متقابلين أما الجامة أو الدائرة الوسطى فيتمثل فيها صورة عقابين متقابلين بينهما حمامة كبيرة ، ويملأ الفراغات المتخلفة ما بين الدوائر الثلاثة نقوش تمثل طواويس وحمائم وأرانب ، ومن الجدير بالذكر أن أحد النقاشين سجل اسمه على إحدى جامات الجانب القصير الأيمن حيث نطالع عبارة (عمل سعادة) وعلى الجانب الطويل الذى يظهر فيه نقش الشيخ الملتحى نقش كتابى مطموس يمكن قراءته على النحو التالى (عمل مكفاح) ، وفي الجانب الأيسر الطويل نقش كتابى على ساق وعل نصه (عمل عبيده) . ويدور حول غطاء العلبة من أدناه نقش كوفى مورق بين افريزين يزدان كل منهما بزخرفة هندسية متعرجة نصه (بسم الله بركة من الله وغبطةوسرور وبلوغ أمل في صالح عمل وانفساح أجل للحاجب سيف الدولة عبد الملك بن المنصور وفقه الله مما أمر بـ(عمله) على يدى الفتى نمير بن محمد العامرى مملوكه سنة

خمس وتسعين وثلاث مائة) . ومن الجدير بالملاحظة أن عبارة (وثلاث مائة) نقشت فى الفراغ الذى يعلو سنة خمس وتسعين ، وذلك لعدم وجود متسع لاكمال النقش الكتابى بعد كلمة (وتسعين) (١١٤) .

(١٨) علبة لاسيو بكاتدرائية براجا (شكل ٢٥) : هى علبة أسطوانية الشكل غطاؤها نصف كروى ، ويبلغ ارتفاعها ١٩ سم وقطرها ١٠,٤ سم ، ويزدان بدنها بنقوش تمثل صورا مختلفة تنحصر داخل ستة عقود حدوية ، تنبت من أعمدة تيجانها مركبة ، ومزودة بمناكب.وتنفرد هذه العلبة بنقوش زخرفية لعناصر معمارية ، ومن الجدير بالذكر أن هذه العقود تمتد رؤوسها لتحدث دوائر غير كاملة بعد أن تلتقى بالافريز العلوى لبدن العلبة . وتتمثل داخل أحد العقود نخلة مجدولة تتفرع منها توريقات قوامها مراوح النخيل ، وبأعلى النخلة صورة رجلين متقابلين يمسك كل منهما بعرجون تمر ، وبداخل الدائرة العليا صورة تنين ، وفى عقد ثان نقش يمثل طائرين متقابلين بين سلة تتفرع منها يمنة ويسرة توريقات وعنقودا عنب . وتتوسط نخلة عقدا ثالثا وتتدلى منها مراوح نخيلية وثمار ، وتحت النخلة رجلان متقابلان ، ويشغل الدائرة التى تعلو العقد صورة تنين . وتتوسط العقد الرابع شجرة الحياة تتفرع منها سيقان متموجة تتدلى منها ثمار وتنبت توريقات ، وفى الدائرة العليا صورة طاووس.

ويزدان الغطاء بأربع جامات مفصصة يفصلها فيما بينها شريط يمتد امتدادا متصلا ، وبداخل كل جامة منها وعل وغزال وكلب وعقاب ، ويشغل مركز الغطاء زر بارز على شكل زهرة تنتهى فى الوسط بكوز صنوبرى . وتعبر الزخارف النباتية عن فن خلافى أصيل ومتميز لا علاقة له بطابع الزخارف المشرقية ، ويدور بأدنى الغطاء نقش كتابى بالخط الكوفى المورق نصه : (بسم الله بركة من الله ويمن وسعادة للحاجب سيف الدولة أعزه الله مما أمر بعمله

(١١٤) Lévi- Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne, t.l p.189 - Ferrandis , op. cit. pp. 78, 79 - Baldomero, op. cit. pp. 58, 65 .

على يدى الفتى (نمير بن محمد العامرى) [115] . ولا يحمل النقش تاريخا ولا يذكر فيه صراحة اسم عبد الملك الذى صنعت له العلبة ، وان كان ذلك يفهم من سياق النص ومن ورود لقب « الحاجب سيف الدولة » ، ومن المعروف أن عبد الملك هذا تلقب بالمظفر فى بداية سنة ٣٩٨ هـ [116]. ولما كان عبد الملك قد توفى مسموما فى سنة ٣٩٩ هـ [117] ، وقياسا على ذلك فانه من الممكن تأريخ العلبة فى الفترة ما بين السنتين ٣٩٨، ٣٩٩هـ . ومن الواضح أن نقوش هذه العلبة ترتبط بعلبة بنبلونه ارتباطا وثيقا ، للتشابه الكبير بينهما فى النقوش الآدمية والحيوانية وكذلك فى التشكيلات النباتيه [118] .

(١٩) الصندوق مستطيل الشكل المحفوظ بمتحف بارجيللو بفلورنسه (شكل٢٦) : هى علبه مستطيلة الشكل قصيرة غطاؤها مسطح ، يبلغ طولها ١٢ سم وعرضها ٩,٣ سم ، وارتفاعها ٦,٩ سم ، وتتشابه نقوشها مع نظائرها فى علبتى بنبلونة وبراجا ، وتنحصر هذه النقوش الزخرفية داخل جامات ثلاثة نجمية الرؤوس فى كل من الوجهين الطويلين للصندوق ، تشكلها أشرطة مجدولة ،

---

(١١٥) Lévi- Provençal,op. cit. p. 190.

(١١٦) لقب بالحاجب المظفر سيف الدولة أبى مروان عبد الملك ، فكان أول من اجتمع له لقبان من ملوك الأندلس (ابن عذارى ، البيان المغرب ،ج٣ ،ص١٧)، وفى ذلك يقول الشاعر قاسم بن الشباسى ،

دعاك أميـر المؤمنين المظفرا ∴ وسماك سيف الدولة المتخيرا

(المصدر السابق ، ص ١٨)

(١١٧) لم يمت عبد الملك مقتولا بأيدى النصارى كما يزعم فراندس Ferrandis ،op. cit. p.p 82) فقد أشارت المصادر العربية أنه توفى اثر ذبحة فاجأته عند شروعه فى الخروج على رأس حملة موجهة فى صفر سنة ٣٩٩ هـ الى بلاد شانجة بن غرسيه ، أودت بحياته (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٧) وقيل – وهو قول مشكوك فيه – أن أخاه عبد الرحمن شنجول احتال عليه بشربة مسمومة دست له (نفس المصدر) .

(١١٨) Gomez Moreno (M.) : Los Marfiles Cordobeses, p. 1- Ferrandis, op. cit. pp. 81, 82.

وبداخل كل جامة من الجامات المتطرفة نقش يمثل طائرين متقابلين تفصلهما شجرة ، أما الجامة الوسطى فبداخلها نقش يمثل وعلين متواجهين بينهما شجرة ، ويغمر الفراغات كيزان صنوبرية وبراعم ومرواح نخيلية مبسوطة ومنثنية ، مصبعة ومختمة ، أما نقوش الغطاء المسطح فتتمثل فيها صورة طائرين متقابلين بأعلى الغطاء ، وفي الطرفين طائران متواجهان قد بسطا أجنحتهما . وبأدنى الغطاء نقوش تمثل زوجين من الظباء المتقابلة تلتقط شيئا من النبات ، وتكسو الفراغات توريقات قوامها مراوح نخيلية مبسوطة ومدببة ، وفروع نباتية متموجة ، وثمار . ويدور بأدنى الغطاء شريط من الكتابة الكوفية المورقة نصه : (بسم الله بركة من الله ويمن وسعادة وغبطة وسلامة شاملة وعافية كافية ونعمة دائمة وسرور دائم لصاحبة) [١١٩] .

(٢٠) صندوق مستطيل الشكل محفوظ بمحتف فكتوريا والبرت بلندن (شكل ٢٧ ، ٢٨) ، غطاؤه على شكل تركيبه مقبرية ، ولايحمل نقشا كتابياً ، يبلغ طوله ٢٧ سم وعرضه ١٦,٥ سم ومفصلته من الفضة ، وتزدان جوانبه بأشرطه تؤلف ثلاثة دوائر كبرى تربطها فيما بينها حلقات صغيرة ، ويشغل الدائرة الوسطى بوجه الصندوق طاووسان متقابلان ، وفي الدائرة اليمنى نقش يمثل مجلس شراب يجمع بين سيد متربع يمسك باحدى يديه مروحة وبالأخرى قارورة ، وعواد يعزف على عود ، وبينهما شجرة ، ومن الجدير بالملاحظة أن السيد والعواد يجلسان على حشية على غرار الصور الممثلة في صندوق كاتدرائية بنبلونة . أما الدائرة اليسرى فيشغلها نقش يمثل سيدا يجلس متربعا على حشية كاملة ويحتسي شرابا من قارورة وأمامه زامر ينفخ في مزماره وقد جلس القرفصاء ، ويشغل الدوائر الصغرى صور طيور صغيرة ، وبأعلى لوحة الوجه وحول هذه الدوائر الثلاثة نقش يمثل زوجين من الطواويس المتقابلة تشابكت أعناقها ، وفي الفراغين المتطرفين نقش يمثل خنزيرين بريين ،

(١١٩) Ferrandis, op. cit. p. 83.

بينما تشغل الفراغات الواقعة بين الجامات المستديرة الثلاثة بأدنى لوحة الوجه زوجان من الحمائم المتقابلة ، وفى الفراغين المتطرفين نقش يمثل أرنباً ينظر الى الوراء . ويتوسط لوحة الوجه الثانى للعلبة جامة بداخلها صورة اسدين وجهاهما متقابلان بنهما شجرة ، وفى الجامة اليسرى غزالان متقابلان ، بنما يتمثل فى الجامه اليمنى غزالان متدابران ويشغل الفراغات العليا نقش يمثل كلبين متقابلين ، وفى حين يشغل الفراغات السفلى نقش يمثل ظبيين فى الوسط وطاووسين متدابرين فى الطرفين .

أما الجانبان القصيران من الصندوق ، فتنحصر النقوش فى جامتين مستديرتين يظهر فى كل منهما زوج من الحيوانات الخرافية المجنحة : اثنان منها لهما قرنان منحنيان و والإثنان الآخران لهما منقاران ، وتفصل بين كل زوج منهما نخلة ، وفى الفراغ الأدنى نقش يمثل أرنبين متقابلين ، بينما يشغل الطرفين الأيمن والأيسر طاووسان ينظران الى الوراء ، كما يشغل هذا الجانب من أعلى صور عقبان ثلاثة بسطت أجنحتها . وفى الجانب القصير الآخر جامتان مستديرتان : اليمنى بداخلها فيلين متقابلين بينهما مشجرة الحياة ، ويعلو ظهريهما طاووسان . وفى الجامه اليسرى نقش يمثل جملين متقابلين بينهما شجرة ، وبين الدائرتين من أعلى نسر بسط جناحه ، وفى كل من البنيقتين اليمنى واليسرى طائر ، أما فى القسم الأدبى من النقش فيشغل الفراغ الأوسط بين الجامتين غزال يعدو ، وفى الطرفين الأيمن والأيسر حيوانان يعدوان .

أما غطاء الصندوق فتزدان جوانبه الأربعة بدوائر بداخلها نقوش تمثل صوراً لحيوانات وطيور وفى الجانب المقابل صور فارس يمتطى صهوة كلبين متقابلين ويملأ الدائرتين الصغيرتين نقش لأرنبين متقابلين ، أما الجانبان الطويلان بالغطاء

فتشغل جانبا منهما جامتان بداخل اليمنى منهما صورة فارس يركب جوادا ، وفى الجامة اليسرى طاووسان تضافرت عنقاهما . أما الفراغات فتشغلها صور أرانب وكلاب صيد وطيور . والجانب الطويل الآخر للغطاء تتوسطه جامة تزدان بنقش يمثل فارسا يركب جوادا ، وبأعلى الجامة صورة كلبى صيد متدابرين . أما الدائرتان الصغيرتان فتشغلهما صورة طاووسين متقابلين ، وفى الطرفين غزالان متقابلان .

(٢١) صندوق كنيسة سانتو دومنجو بسيلوس Silos المحفوظ بمتحف الآثار الوطنى ببرغش (شكل ٢٩ ، ٣٠) صندوق صغير مستطيل الشكل غطاؤه على شكل هرم ناقص أو تركيبة مقبرية ، يبلغ طوله ٣٤ سم وعرضه ١٩ سم وارتفاعه ٢١ سم ، وهو أقدم التحف العاجية من انتاج مصنع قونكة Cuenca من عصر دويلات الطوائف ، وهو مصنع برزت فيه من الصناع والنقاشين أسرة تعرف ببنى زيان [١٢٠] . ووجه الصندوق لوح من العاج ينقسم أفقيا الى ثلاثة صفوف من الزخارف يزدان كل منها بنقوش بارزة : الصفان العلوى والسفلى متماثلان باستثناء القطاع الأوسط منهما ، ويتمثل فيهما صور صيادين يشدون أقواسهم ويصوبون سهامهم الى أسود . أما النقش السفلى من القطاع الأوسط فيشغله صورة فارس يركب جوادا مسرعا ويحمى نفسه من أسد يهم بمهاجمته ، ويحمل فى اليد اليمنى سيفا ويظهر أمامه ووراءه أسدان ينقضان على ظهرى غزالين وينهشان عنقيهما ، وأما النقش العلوى من القطاع الأوسط فيشغله صورة أسدين يفترسان غزالين .

ويشتمل الصف الأوسط من الصفوف الثلاثة بوجه الصندوق على صور

---

(١٢٠) Ibid . pp. 88, 89 .

حيوانات مجنحة متقابلة ومتدابرة . أما الوجه الثانى للصندوق فينقسم بدوره الى ثلاثة صفوف أفقية تزدان بنفس التشكيلات الزخرفية الحيوانية والآدمية بالوجه السابق . أما الجانبان القصيران من الصندوق فينقسم أحدهما الى ثلاثة صفوف : الأوسط يتوسطه طاووسان متقابلان يشتبك عنقاهما ، وفى كل من الجانبين الأيمن والأيسر وعل فى وضع يتطلع فيه الى الآخر ، أما الصف العلوى فيتوسطه غزال كبير الحجم يعدو بين توريقات وفروع نباتية ، وينقسم الجانبان الأيمن والأيسر إلى طابقين يشغلهما فى كل من الجانبين أسدان ينهشان مؤخر غزال، ويتكرر ذلك فى الجانبين الأيمن والأيسر من الصف الأدنى . أما القطاع الأوسط فتغمره توريقات وسيقان تكون حلقات خمسة تشغل كل منها صورة وعل .

أما الجانب القصير الثانى من الصندوق فقد بدل بلوح نقشت عليه صور ثلاثة ملائكة (من العصر المسيحى) . كذلك تعرض اللوح العلوى المسطح من غطاء الصندوق لتغيير جذرى فى العصر المسيحى . فى حين كسيت الجوانب الأربعة المائلة للغطاء بتوريق وثمار وفروع متموجة ، ويدور بأدنى الغطاء عند حافته نقش كتابى بالخط الكوفى المورق نصه (... باقية لصاحبه أطال الله بقاه مما عمل بمدينة قو (نكة) ... سبع عشرة وأربع مائة عمل محمد ابن زيان عبده أعزه الله) [١٢١] . ومن الواضح أن الصندوق أهدى الى أحد شخصين : الأول أبو بكر يعيش بن محمد بن يعيش الأزدى والى طليطلة قبل قيام دولة بنى ذى النون ، والثانى ، عبد الرحمن بن ذى النون والد الظافر سيد شنتبرية التى كانت تتبعها قونكة [١٢٢] .

(٢٢) لوح من غطاء صندوق، من مجموعة السيدة أرملة بوشى ببرشلونة:

يشكل هذا اللوح أحد الجانبين القصيرين المائلين من الغطاء هرمى الشكل

---

(١٢١) Lévi- Provençal, op, cit. p. 190

(١٢٢) Ibid. pp. 88, 89

لصندوق من العاج لم يصل الينا ، ويبلغ طول هذا اللوح ٨ سم وارتفاعه ٣,٦ سم ، ويتميز بنقش يمثل غزالين مجدولى العنقين ، على نحو يُظهر رأساهما متقابلين ، وحولهما توريقات مصبعة ومختمة ، من نفس طابع التوريقات المنقوشة بالصندوق السابق من صناعة قونكة عمل محمد بن زيان .

(٢٣) صندوق كاتدرائية بالنثيا المحفوظ بمتحف الآثار الوطنى بمدريد (شكل ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) هذا الصندوق يتخذ شكل مستطيل طوله ٣٤ سم وعرضه ٢٥ سم وارتفاعه ٢٣ سم ، غطاؤه على شكل تركيبه مقبرية ، ويتألف من عدة لوحات من العاج تكسو صندوقا من الخشب المبطن بجلد مذهب . ويلاحظ فى الزخارف المنقوشة بالوجهين الطويلين من بدن هذا الصندوق أنها متماثلة ، ويتوسط أحد الوجهين الطويلين لوحة مركزية تحتشد فيها فروع نباتية متموجة تحصرينها أوراق اكنثس كاملة فى شكل قلوب مصبعة ومختمة ، كما تتفرع منها مراوح نخيلية ، ويتكرر هذا التشكيل الزخرفى ويمتد بامتداد اللوحة ، ويطوق هذه اللوحة الوسطى إطار زخرفى يزدان بعقد ثلاثى الفصوص يتكرر أفقيا بامتداد الاطار ورأسيا فى الجانبين القصيرين من الصندوق. ويتكرر داخل الاطارين العلوى والسفلى على التناوب صورة طائرين متقابلين بينهما شجرة وغزالين متقابلين . أما الاطار الأيمن والأيسر فيختلف وضع الطائرين والغزالين فيهما ، اذ يبدوان متدابرين . ويتوسط احد الجانبين القصيرين من بدن الصندوق تشكيل مركزى من توريقات مماثلة للتشكيل الذى يشغل لوحة الوجه . أما الاطار العلوى والسفلى فتتكرر فيهما صورة أسدين متقابلين ينهشان مؤخر غزالين وبينهما نخلة ، فى حين يشغل الاطارين الجانبيين من أعلى ومن أسفل صورة حيوان خرافى مجنح على اليمين يقابله حيوان مماثل على اليسار ، وفى الوسط يبدو طائران متقابلان فوق غزالين متدابرين . ويحتفظ الجانب القصير الآخر بنفس التشكيل الزخرفى فى الوسط بينما يظهر بأعلى الاطار الذى يحيط به نقش يمثل

أسد يلتهم صيادا ومن ورائه صياد أخر يطعن مؤخر الأسد برمحه ، وفى الاطار الأدنى صورة صياد يرمى غزالا بسهم ، وتتمثل فى الأركان الأربعة صور حيوان مجنح شكل (٣٣) اما غطاء الصندوق فتكسوه توريقات قوامها مراوح نخيلية مصبغة ومختمة ببين تفريعات نباتية متموجة تتكرر محدثة لفائف بداخلها أوراق نباتية ، ويزدان اللوح الأفقى للغطاء بتشكيل من أربعة غزلان فى وضع معتدل ومقلوب ، ويدور بحافة الغطاء من أدنى نقش كتابى بالخط الكوفى المورق نطالع فيه ما يلى : (بسم الله الرحمن الرحيم بركة دائمة ونعمة شاملة (و) عافية باقية وغبطة مائلة وآلاء [١٢٣] متتابعة وعز واقبال وانعام وأفضال [١٢٤] وبلوغ آمال لصاحبه أطال الله بقاه مما عمل بمدينة قونكة بأمر الحاجب حسام الدولة أبو محمد اسماعيل بن المأمون ذى المجدين بن الظافر ذى الرئاستين [١٢٥] أبى محمد [١٢٦] بن ذى النون أعزه [١٢٧] الله فى سنة احدى وأربعين وأربع مائة عمل عبد الرحمن بن زيان [١٢٨] (...)

(٢٤) علبة أسطوانية الشكل محفوظة بكاتدرائية سان خوستو بأربونه (شكل٣٤) لهذه العلبة غطاء نصف كروى على غرار غطاء علبة سمورة ، وبدنها كله مغطى بنقوش تمثل فروعا نباتية متموجه تتشابك أحيانا من أعلى ، وتتدلى منها مرواح نخيلية وأوراق مصبعة ومختمة ، وتتألف من هذه الفروع

---

(١٢٣) لم يستطع فراندس قراءة كلمة آلاء « ولكنه قرأها « والا؟ » (Ferrandis, p.93)

(١٢٤) قرأها ليفى بروفنسال « واتصال » بينما قرأها فراندس « أفطال »
Lévi- Provençal, op. cit. p. 191- Ferrandis , op, cit, p,93.

(١٢٥) قرأها بلدومير والوزارتين Baldomero. op, cit, p.73

(١٢٦) وردت خطئا فى النقش أبى محمد وصحتها ابن محمد .

(١٢٧) وردت خطئاً فى النقش أعزاه وصحتها أعزه .

(١٢٨) Lévi- Provençal, op. cit. p. 191,
Ferrandis , op, cit, p,93.

بأدنى بدن العلبة أشكال قلوب تشتمل على أوراق أكنش معتدلة ومقلوبة على التعاقب . ونلاحظ أن نفس التشكيل النباتى يكسو غطاء العلبة،ويدور بحافة الغطاء المستديرة نقش كتابى بالخط الكوفى المورق نصه : (بركة من الله مماعمل بمدينة قونكة لخزانة الحاجب قائد القواد اسماعيل) .[١٢٩] ، وواضح أنها كانت معاصرة لعلبة كاتدرائية بالنثيا .

* * *

لم يلبث مصنع قونكة أن توقف عن انتاجه قبل ثلاثين سنه تقريبا من سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ، ومنذ توقف هذا المصنع عن الانتاج عمد صناع التحف العاجية الى الانتاج الشعبى ، فبدلا من تخصيص العلب والصناديق العاجية لكبار الشخصيات من الحجاب والملوك أصبحت هذه التحف تباع كسلع مترفة فى الأسواق والقيساريات ، ولم تعد تحمل من النقوش الكتابية ما يتضمن اسم من تهدى اليه ولا اسم القائم على صناعتها ولا تاريخ الصنع ، وبدأت هذه التحف تفقد تدريجيا قيمتها الفنية ، اذ افتقدت كل مظاهر الاصالة وحل محلها التقليد والتكرار الزخرفى الممل الذى يخلو من القيم التعبيرية ودقة الأداء.

وهكذا أصيبت صناعة التحف العاجية بتدهور واضح المعالم ، ففقدت النقوش الحيوانية ثراءها القديم وحيويتها ، وأخذ صناع العلب العاجية يلتمسون مصادر الهام جديدة فى الفن الفاطمى الذى لم يكن يصل بأى حال من الأحوال الى الفن الخلافى بالأندلس . وتنقسم الأمثلة المتأخرة لهذه التحف فى الأندلس الى أنواع ، منها العلب المزينة بالرسوم والصور ، والعلب المخرمة ، والعلب

---

(١٢٩) Ibid. p. 98.

وقرأها ليفى بروفنسال خطئا Lévi- Provençal, op. cit. p. 191

المدهونة ، هذا بالاضافة الى الامشاط العاجية التى تزدان بصور حيوانية وطيور وفروع نباتية .

ومن أروع أمثلة العلب العاجية المتأخرة علبة اسطوانية تزدان بنقوش تمثل طيور متقابلة أو متدابرة وغزلان بين فروع نباتية لولبيه محفوظة بمتحف اللوفر وكانت فى الأصل بمجموعة أركوناتى فيسكونتى ، وتقتصر هذه الزخارف على واجهة العلبة ، وتشبه هذه الزخارف نظائرها المحفورة فى اللوحات الخشبية الفاطمية [(١٣٠)] الأمر الذى يدعونا الى الاعتقاد بأنها ربما صنعت فى مصر أو فى صقلية فى القرن الخامس أو السادس الهجرى .

ومن مجموعة العلب المخرمة أربعة نماذج أسطوانية الشكل تشغل الزخارف المخرمة فيها معظم المسطحات بحيث لا تترك سوى فراغا ضيقا لتسجيل نقش كتابى بالخط النسخى . ونستنتج من أسلوب الزخرفة والخط أن هذه العلب صنعت فى مصر . ومن جملة هذه العلب علبة تحتفظ بها كنيسة السيو بسرقسطة ، وان كانت تفاصيل الزخرفة فى نقوشها تبعدها بعض الشئ عن المدرسة المصرية ، فالزخرفة المخرمة فيها لا تشغل معظم العلبة وانما تقتصر على القطاع الاوسط منها . ويحيط بالعلبة من أعلى ومن أسفل شريط زخرفى قوامه أشرطه مجدولة ، ويعلو العلبة نقش كتابى بالخط النسخى على مهاد من التفريعات النباتية والتوريق يشير الى دور العلبة فى المحافظة على الأمانة والوديعة وتحمل مفصلة العلبة نقشا كتابيا نصه « الملك لله » [(١٣١)] . ولا يستعبد فراندس أن تكون هذه العلب قد صنعت فى مصر وانتقلت الى الاندلس عن طريق التبادل التجارى.

ومن العلب العاجية المتأخرة ما كان مخصصا للاهداء فى الأعراس ،

---

(١٣٠) Ferrandis , op, cit, t, II,p.21

(١٣١) Ibid. t.ii, p.126

ومعظمها يحمل نقوشا كتابية عبارة عن أدعية طيبة لصاحبها . ومن أمثلة هذه العلب صندوق مستطيل الشكل محفوظ فى كاتدرائية طارنت يحمل أبياتاً شعرية مدهونة ، نطالع فيها ما يلى :

صل من هويت ودع مقالة حاسدى ليس الحسود على الهوى بمساعدى

لم يخلق الرحمـن أحسـن منظرا من عاشـقين على فراش واحـد

متعانقين عليهما حلل الهـوى متوسـدين ... (١٣٢)

والرسوم المدهونة على العلبة غير متقنة وتبدو بدائية ، وتمثل على وجه العلبة فارسين متقابلين يحمل كل منهما صقرا ، داخل دائرتين . ومعظم أمثلة هذه المجموعة تحمل رسوما مدهونة تمثل فرسانا يمتطون صهوات الخيل ويحملون صقورا . وبخلاف ذلك فان العلب تخلو تماما من النقوش النباتية والهندسية التقليدية التى كانت الطابع الغالب على علب العاج الخلافية .

السيد عبد العزيز سالم

« تم بحمد الله »

(١٣٢) Ibid. p. 138

قائمـة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

ثانياً : المراجع العربية الحديثة

ثالثاً : المراجع الأوربية

أولاً – المصـــادر العربيـــة

الإدريسى (الشريف أبو عبد الله محمد الحسنى) : كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

ابن بسام الشنترينى (أبو الحسن على) : كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ، أربعة أقسام فى ٨ مجلدات ، بيروت ١٩٧٨ .

ابن حيان (أبو مروان خلف) : كتاب المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، الجزء الخامس ، تحقيق د. بدرو شالميتا ود. كورينطى ود. صبح ، مدريد ١٩٧٩ .

ابن الخطيب (لسان الدين) : كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ونشر ليڤى بروفنسال ، بيروت ، ١٩٥٦ .

ابن سعيد (على بن موسى) : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د. شوقى ضيف جزآن ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٣ .

ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين السفر الثانى ، نشر وتحقيق د. عبد الهادى التازى ، بيروت ، ١٩٦٤ .

ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشى) : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، طبعة بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٠ .

العذرى (أحمد بن عمر بن أنس) : نصوص عن الأندلس ، تحقيق د. عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ، ١٩٦٥ .

المسعودى (أبوالحسن على) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق الاستاذ محيى الدين عبد الحميد ، ج٢ ، القاهرة ١٩٥٨.

المقرى (احمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، نشر الاستاذ محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩.

ثانيا – المراجع العربية الحديثة والأوربية المعربة

ديماند(م.س) : الفنون الإسلامية ، ترجمة الاستاذ أحمد محمد عيسى، القاهرة، ١٩٥٨.

رنسيمان (ستيفن): الحضارة البيزنطية، ترجمة الاستاذ عبد العزيز توفيق جاويد مجموعة الألف كتاب ، عدد ٣٧٩، القاهرة، ١٩٦١ .

زكى محمد حسن(دكتور) : كنوز الفاطمين ، القاهرة ، ١٩٣٧.

زكي محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٦.

عبد العزيز سالم: (دكتور السيد) : القيم الجمالية فى فن العمارة الأسلامية ، منشورات جامعة بيروت العربية ، بيروت ، ١٩٦٣.

« « : تاريخ مدينة المرية قاعدة اسطول الاندلس، بيروت ، ١٩٦٩.

« « : صور من المجتمع الاندلسى فى عصر الخلافة الأموية ، وعصر دويلات الطرائف من خلال النقوش المحفورة فى علب العاج ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد التاسع عشر، مدريد ١٩٧٦ – ١٩٧٨

« « : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، الجزء الثانى ، الاسكندرية ، ١٩٨٤.

« « : المساجد والقصور فى الأندلس ، الإسكندرية ، ١٩٨٦

عبد العزيز سالم (دكتورة سحر السيد) : مظاهر الحضارة فى إبطليوس الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٧ .

على بهجت (الأستاذ) : حفريات الفسطاط ، القاهرة ١٩٢٨ .

فكرى (دكتور أحمد على) : مساجد القاهرة ومدارسها ، ج١ العصر الفاطمى ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

ماهر (دكتورة سعاد) : الفنون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٦

مرزوق (دكتور محمد عبد العزيز) : الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الفاطميين ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

« « : الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت .

« « : التحف المصنوعة من العاج ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ج٢ ، المجلد السابع عشر ، ديسمبر ، ١٩٥٥ .

معرض الفن الإسلامى فى مصر (من ٩٦٩ – ١٥١٧م) ، منشورات وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٦٩ .

مورينو (مانويل جومث) : الفن الإسلامى فى إسبانيا منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر المرابطين ، ترجمة د. أحمد لطفى عبد البديع و د. السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

نعمت إسماعيل علام (دكتورة) : فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

ثالثاً - المراجع الأوربية

Combe (E.), Sauvajet (J.), Wiet (G.): Repertoire chronologique d'Epigraphie Arabe, t. v, le Caire, 1934.

Ferrandis (Jose): Marfiles arabes de Occidente, t. II, Madrid, 1940.

Gluck (Heinrieh) & Diez (Ernest): Arte del Islam, Madrid, 1934.

Lévi Provençal (Elie): Inscriptions Arabes d'Espagne, 2 vols., textes, t. I, Paris, 1932.

Lovillo (Jose Guerrero): Al-Qasr Al-Mubarak, Sevilla, 1974.

Migeon (Gaston): Manuel d'Art musulman, t. II, Paris, 1907.

Moreno (Manuel Gomez): El arte islamico en Espana Y en al-Magreb, en "Arte del Islam", Madrid, 1934.

Palencia (Angel Gonzalez) Moros Y Cristianos, Madrid, 1945.

Pijoan (José): Summa Artis, vol. XII, arte islàmico, Madrid, 1949.

Ricardo del Arco: la Aljaferia de Zaragoza, Rev. "arte espanol, 1926.

Salem (Elsayed Abdel Aziz); Algunos aspectos del florecimiento economico de Almeria Islamica, durante el periodo de los Taifas y de los Almor àvides, Rev. del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos de Madrid, vol. xx, Madrid, 1979, 1980.

Salem: De Nuevo sobre la influencia de al-Andalus en el arte musulman de Egipto, en Cuadernos de la Alhambra, 15-17, Granada, 1979 - 1981.

Tejada (Baldomero Montoya): Marfiles Cordobeses, Cordoba, 1929.

Torres Balbas (Leopoldo): La mezquita de Cordoba y las ruinas de Madina al Zahra, Madrid, 1952.

، : Arte Hispano Musulman hasta La Caida del Califato de Cordola, en Historia de Espana, dirigida por Don Ramon Menendez Pidal, t. V, arte Califal, Madrid, 1957.

Valero (Clara Delgado): Toledo Islamico, Teledo, 1986.

فهرســـت

موضوعـات البحــث

فهرس الأشكال

(شكل ١٤) جانبان العلبة سالفة الذكر

(شكل ١٥) جانب آخر من العلبة السابقة

(شكل ١٦) جانب آخر من نفس العلبة السابقة

(شكل ١٧) العلبة المحفوظة بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن

(شكل ١٨) جانب آخر من العلبة السابقة

(شكل ١٩) علبة بدون غطاء محفوظة بمتحف اللوفر بباريس

(شكل ٢٠) جانب من العلبة السابقة

(شكل ٢١) علبة اسطوانية الشكل من مجموعة الكونتيسة دى بيهاج

(شكل ٢٢) جانب من صندوق كاتدرائية بنبلونة

(شكل ٢٣) الجانب الآخر من الصندوق السابق

(شكل ٢٤) غطاء صندوق كاتدرائية / بنبلونه

(شكل ٢٥) علبة كنيسة لاسيوبراجا

(شكل ٢٦) صندوق محفوظ بمتحف بارجيللو بفلورنسه

(شكل ٢٧) وجه الصندوق المحفوظ بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن

(شكل ٢٨) الوجه الآخر من الصندوق السابق

(شكل ٢٩) وجه الصندوق المحفوظ بمتحف برغش

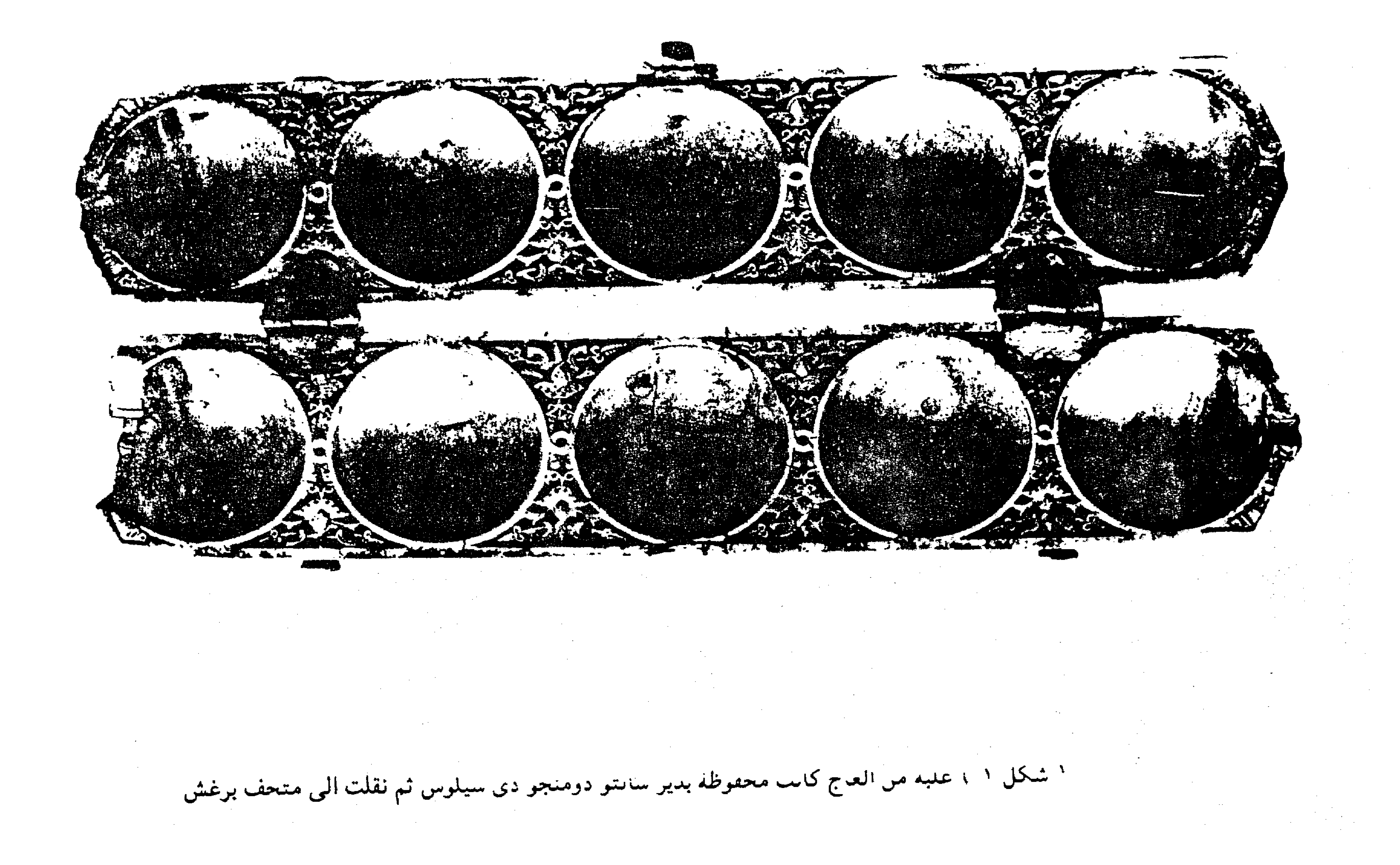
(شكل ٣٠) أحد الجانبين القصيرين من صندوق متحف برغش

(شكل (٣١) وجه صندوق كاتدرائية بالنشيا المحفوظ فى المتحف الوطنى للآثار بمدريد

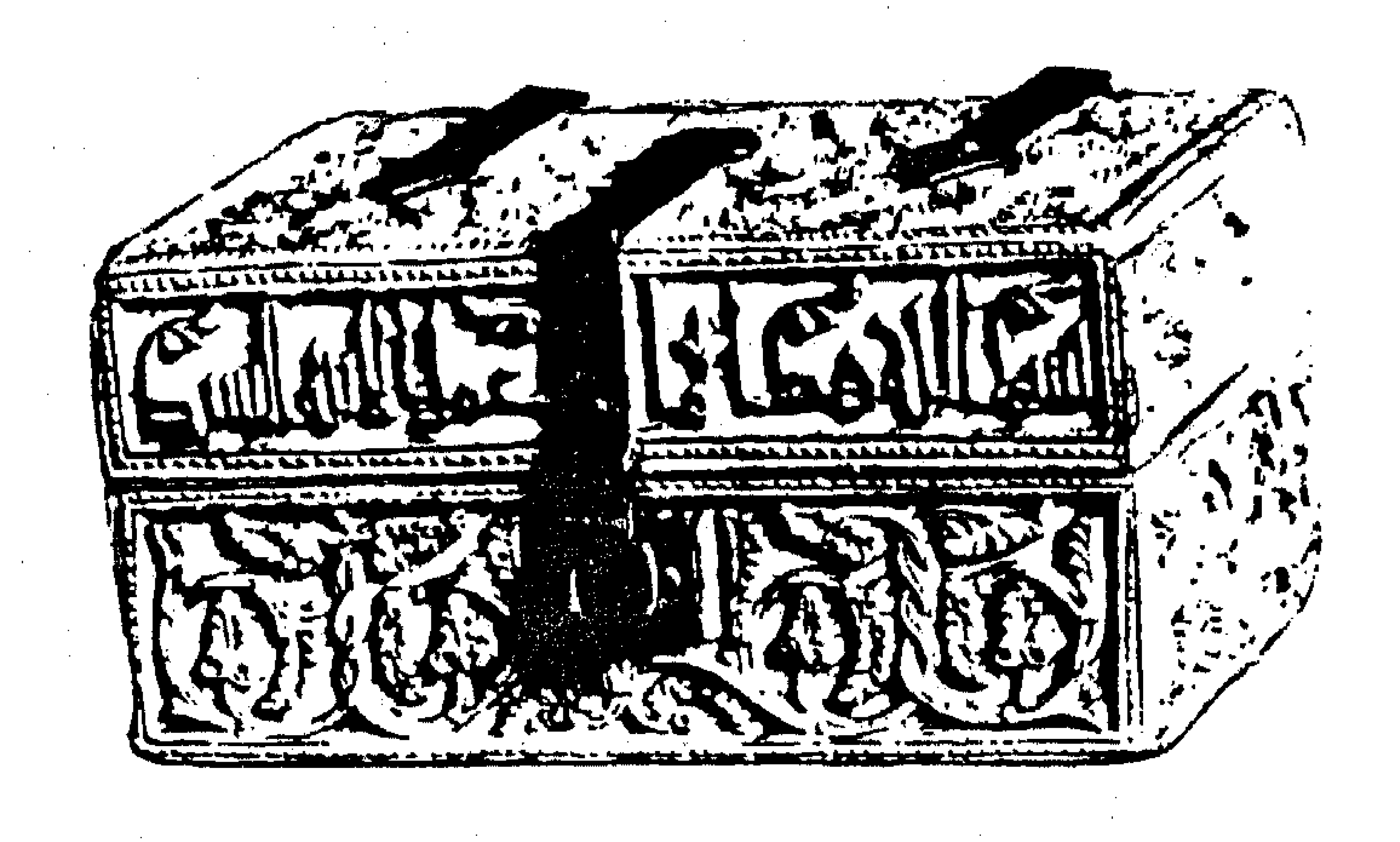
(شكل٣٢) الوجه الآخر للصندوق السابق

(شكل ٣٣) أحد الجانبين القصيرين من الصندوق السابق .

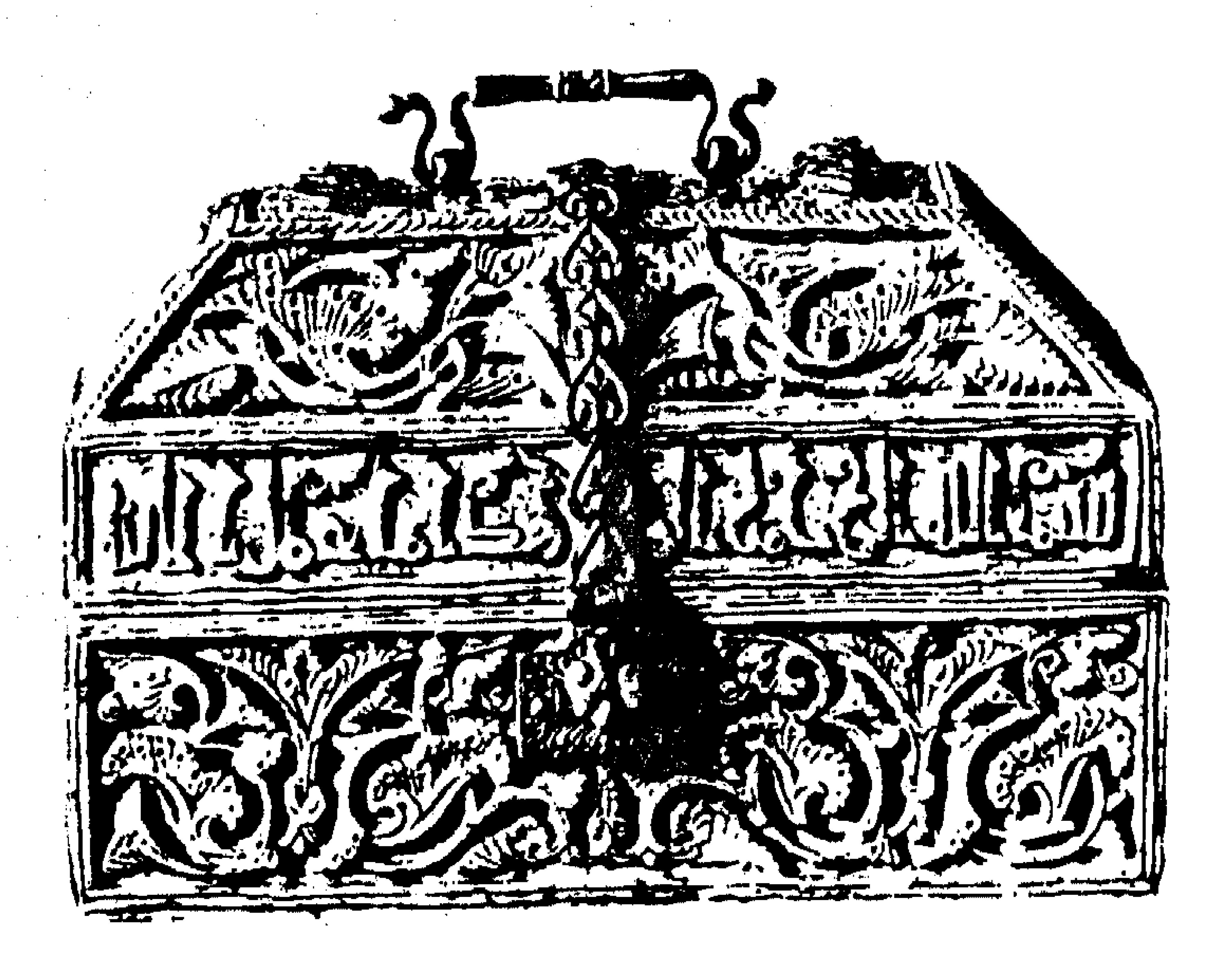
(شكل ٣٤) علبة كاتدرائية سان خوستو بأربونه



١ شكل ١ : علبه من العاج كانت محفوظة بدير سانتو دومنجو دى سيلوس ثم نقلت الى متحف برغش



ا شكل ٢) صندوق من العاج محفوظ بمتحف فكتوريا والبرت بلندن

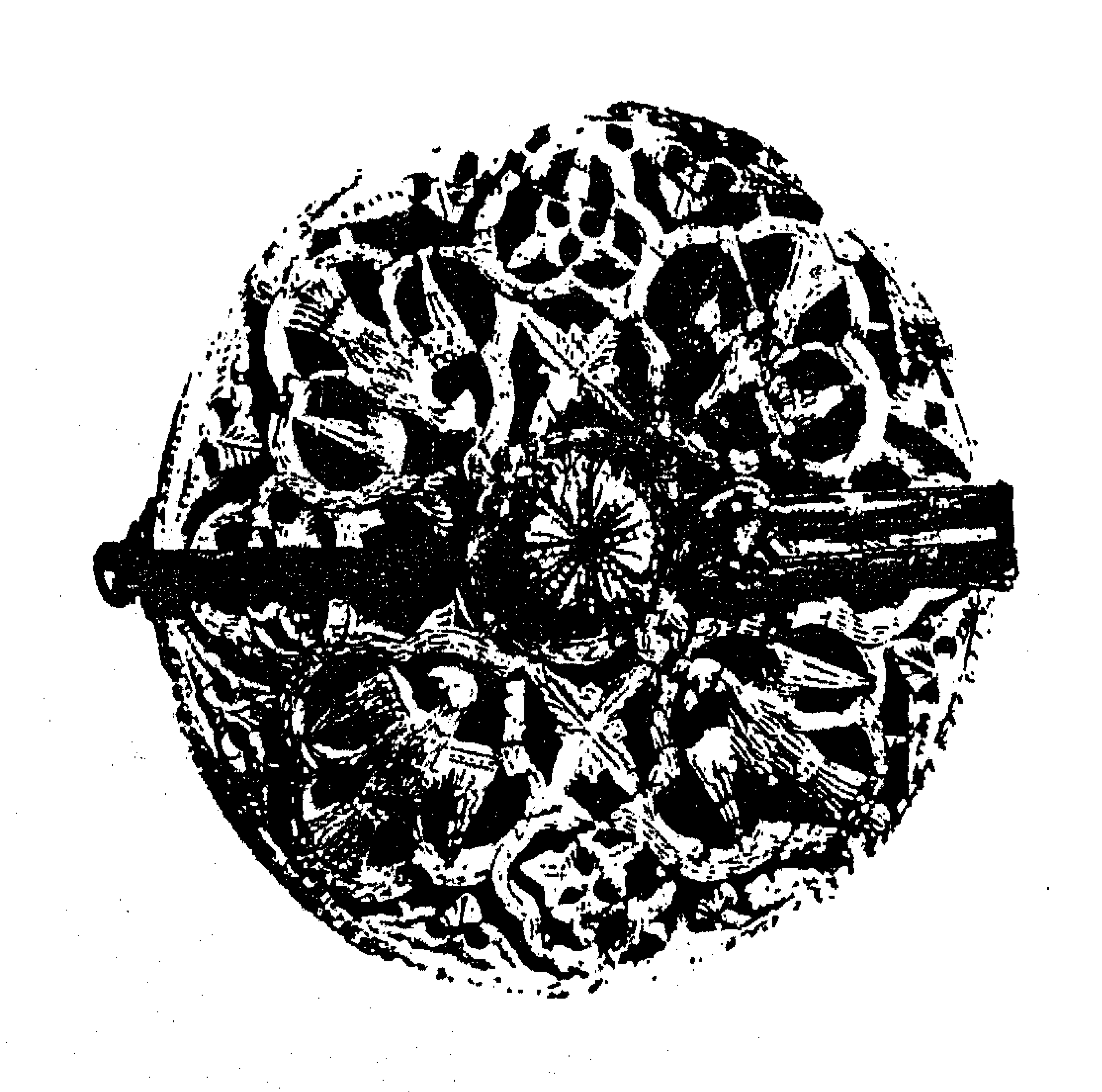


شكل ٣ صندوق محفوظ بمتحف فكتوريا والبرت بلندن



(شكل ٤) علبة من العاج اسطوانية الشكل محفوظة بمتحف الآثار الأهلى بمدريد

وكانت في الاصل بكاتدرائية سمورة

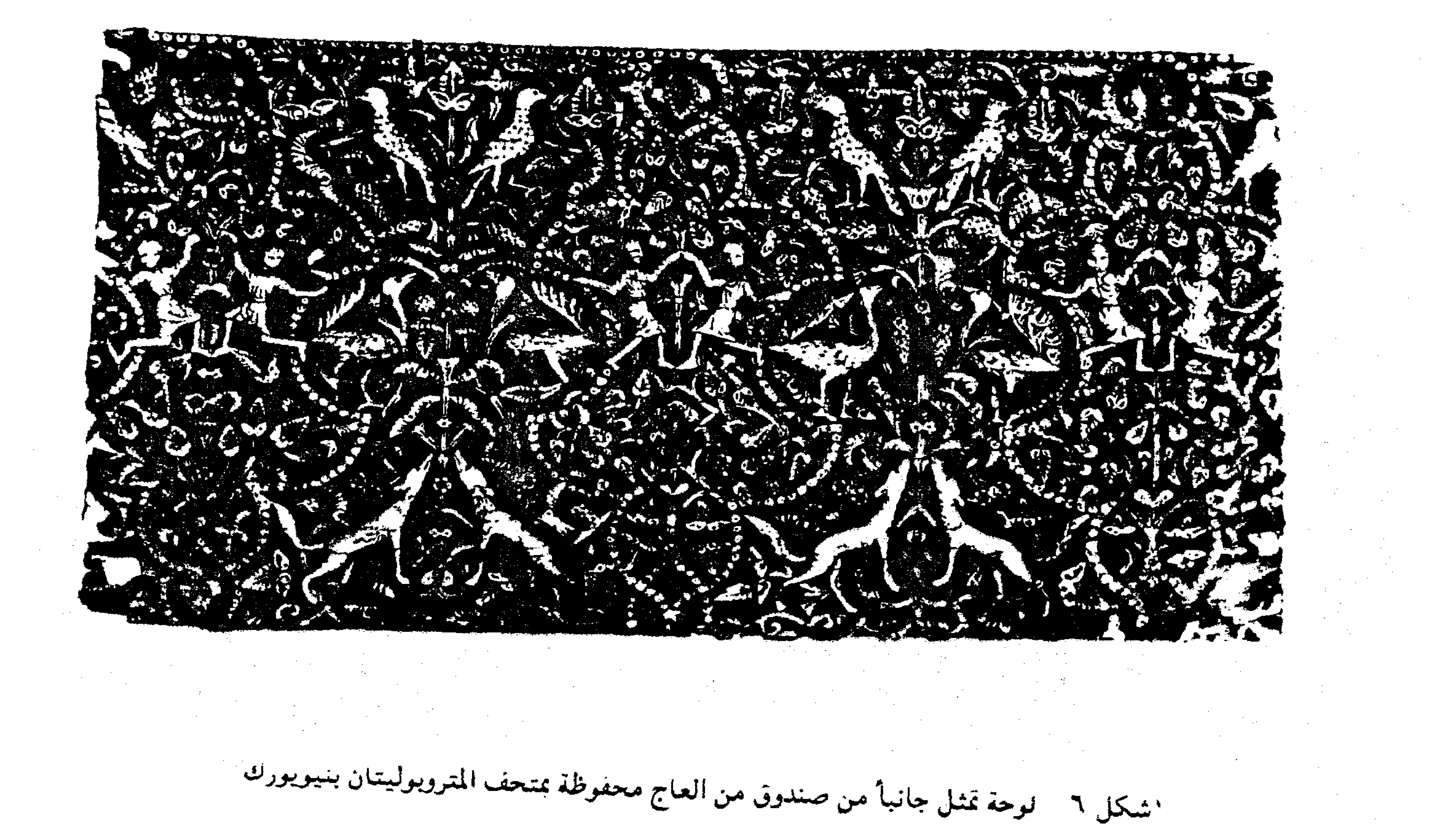




(شكل ٥) علبة من العاج مستديرة الشكل غطاؤها مقبب

محفوظة بمتحف فكتوريا وانبرت بلندن

والصورة العليا تمثل الغطاء المقبب



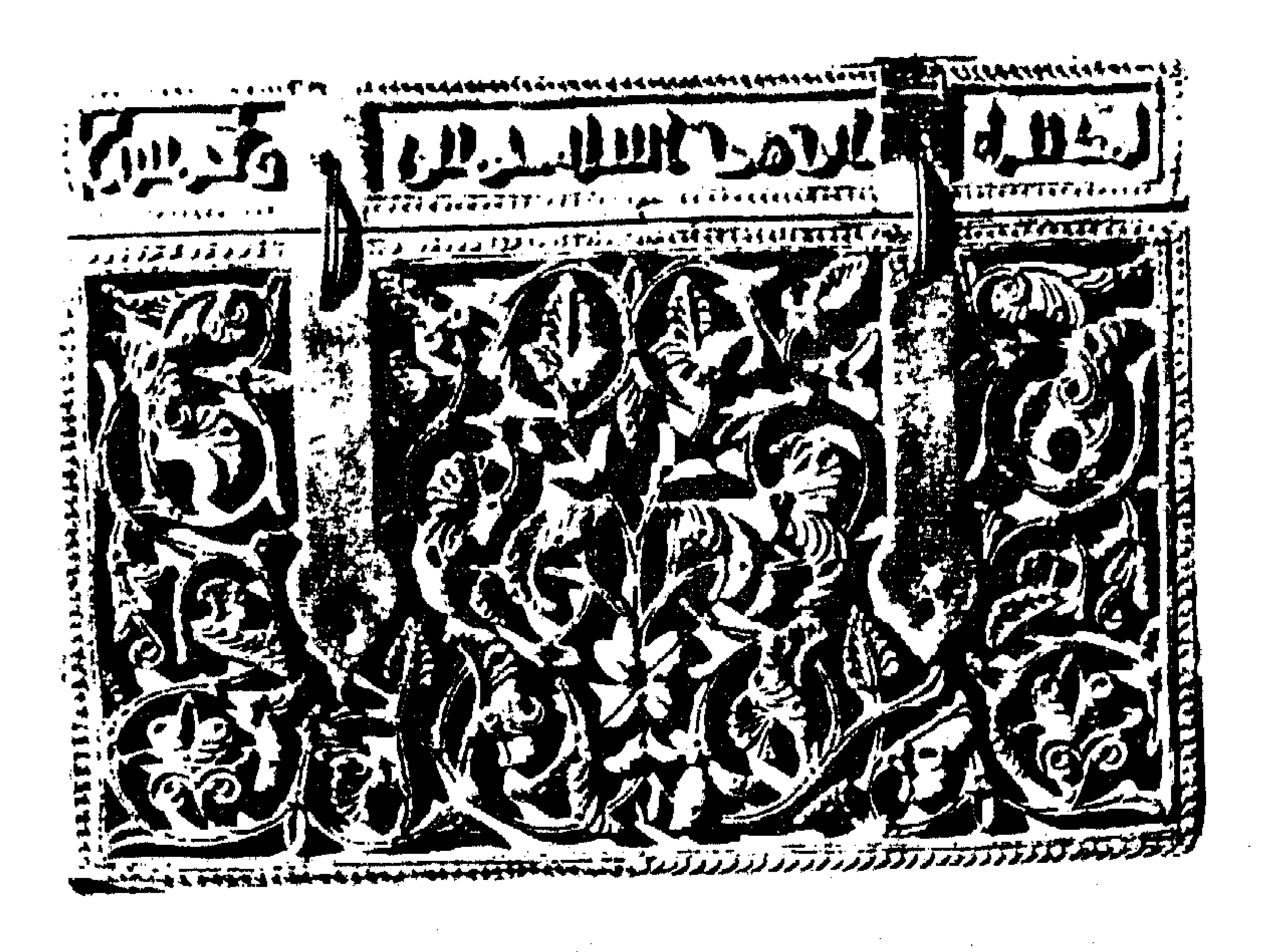
شكل ٦ لوحة تمثل جانباً من صندوق من العاج محفوظة بمتحف المتروبوليتان بنيويورك



(شكل ٧) أ - وجه صندوق صغير من العاج محفوظ بمتحف بلنسية دى دون خوان بمدريد



ب - أحد جانبى الصندوق



(شكل ٨) صندوق من العاج محفوظ فى كنيسة فيتيرو ينبره



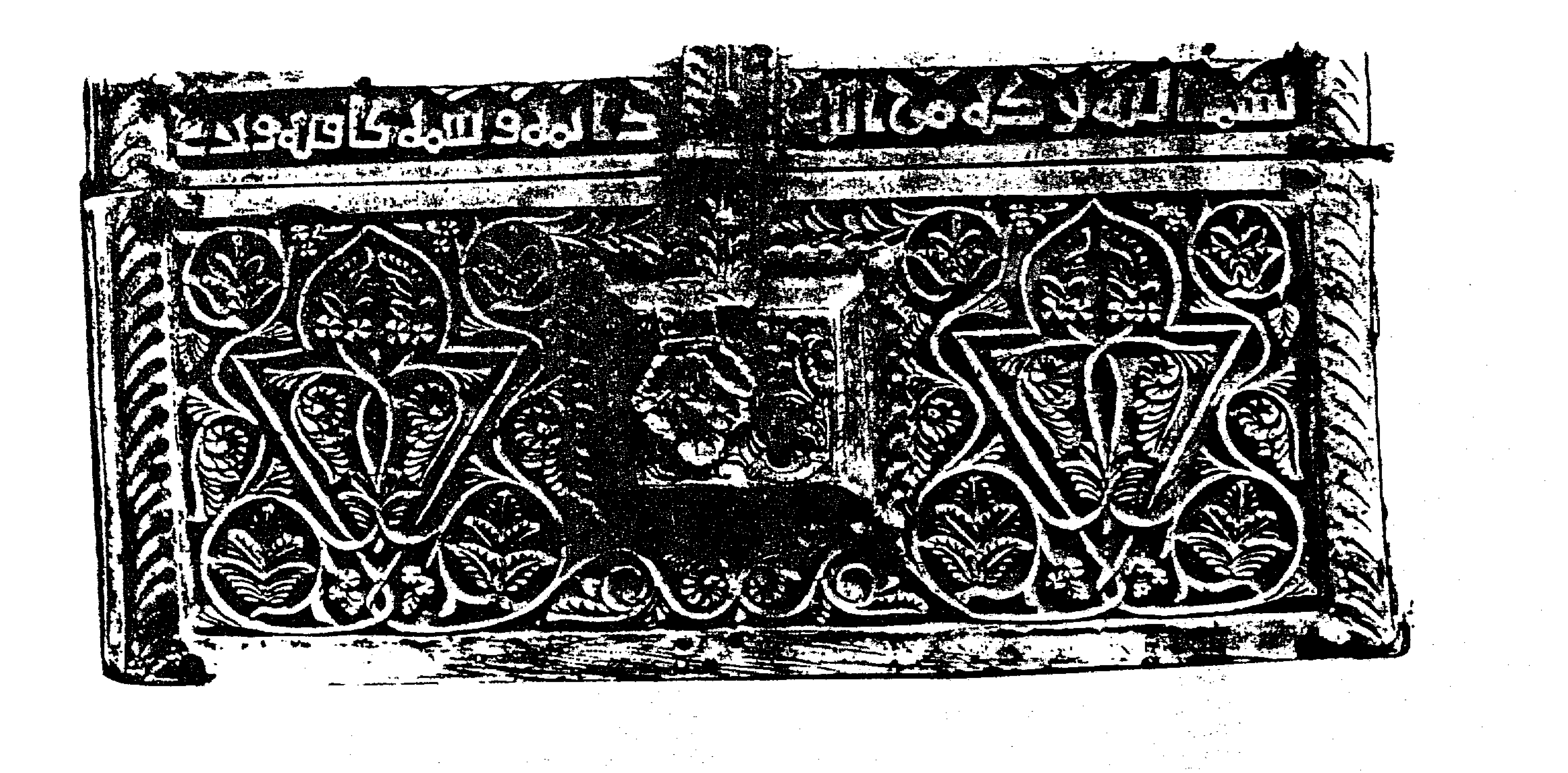
ب - الجانب الأيمن نم الصندوق



(شكل ٩) العلبة المحفوظة فى الجمعية الأسبانيه بنيويورك



(شكل ١٠) غطاء لصندوق مفقود يحتفظ به بمتحف فكتوريا والبرت بلندن)



(شكل ١١ أ) وجه الصندوق المحفوظ بمتحف الفنون الزخرفية بباريس



اشكل ١١ ب . الجانب الأيسر من الصندوق سالف الذكر



(شكل ١٢) بدن العلبة الأسطوانية الشكل المحفوظة بمتحف المتروبوليتان بنيويورك

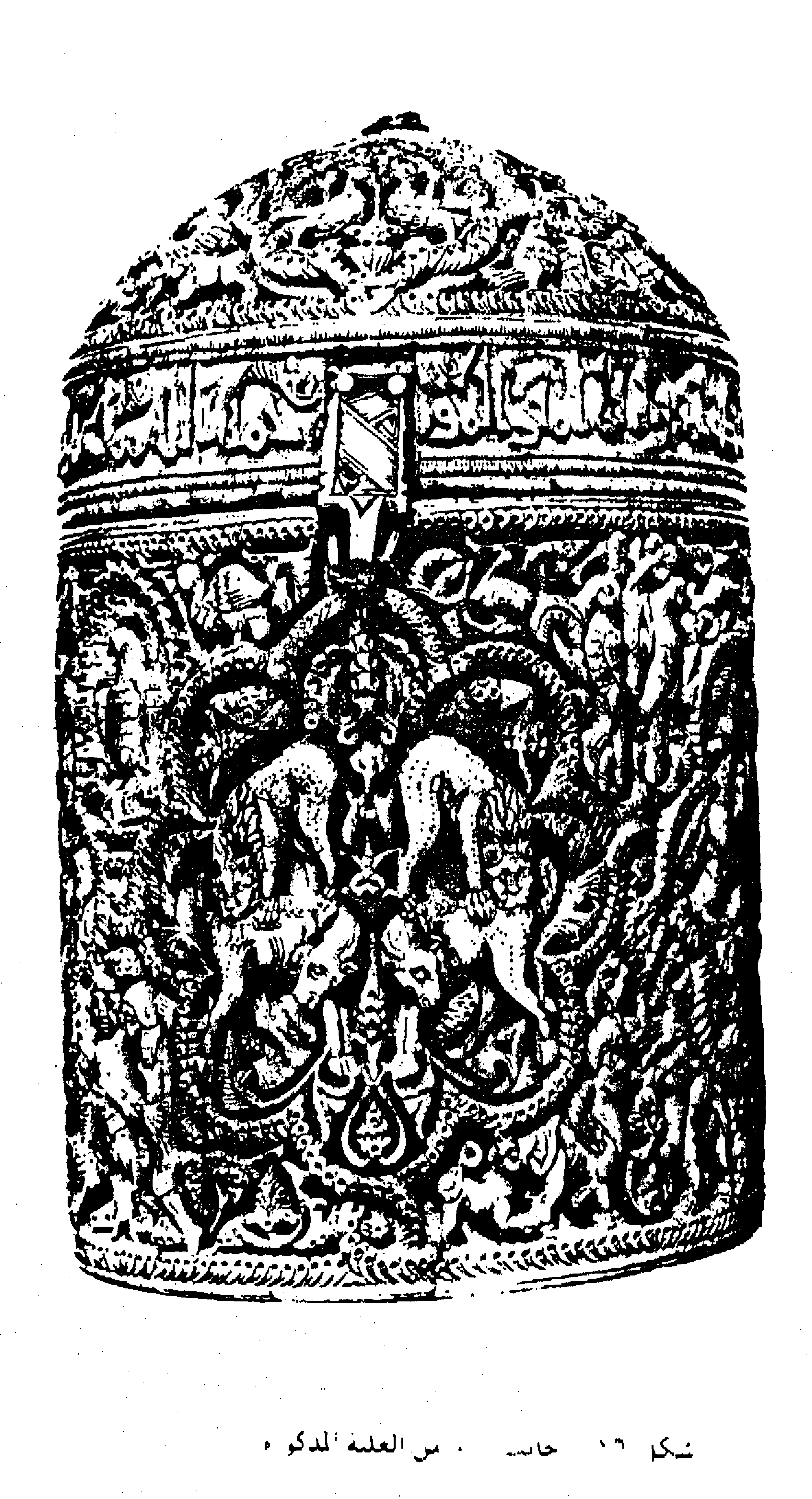


(شكل ١٣) علبة العاج المحفوظة بمتحف اللوفر بغطائها المقبب

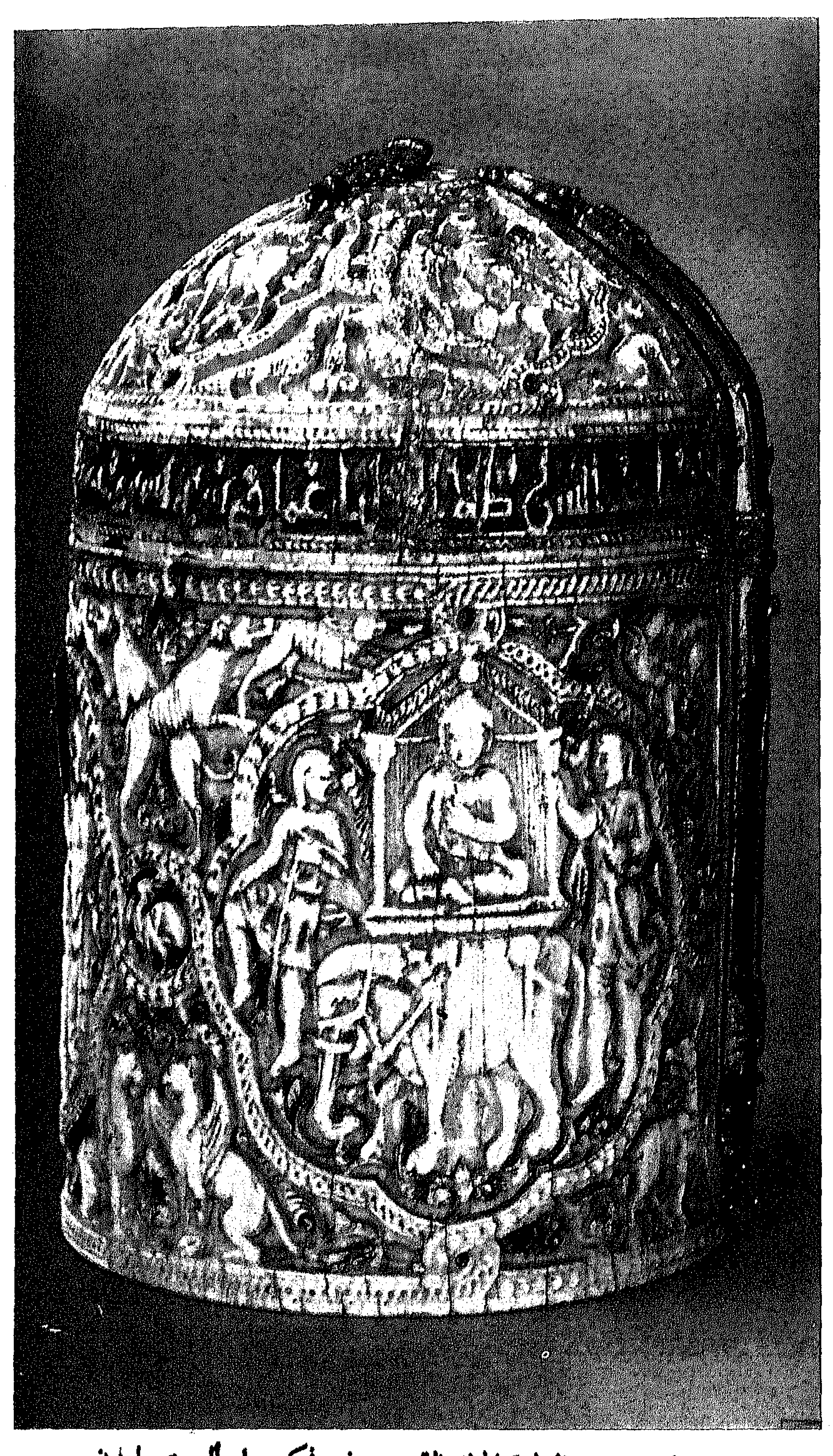




شكل ١٥ جانب من العلبة



شكل ١٦ جانب من العلبة المذكورة



(شكل ١٧) العلبة المحفوظة بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن



(شكل ١٨) جانب آخر من لعبة سالفة الذكر شكل ١٧





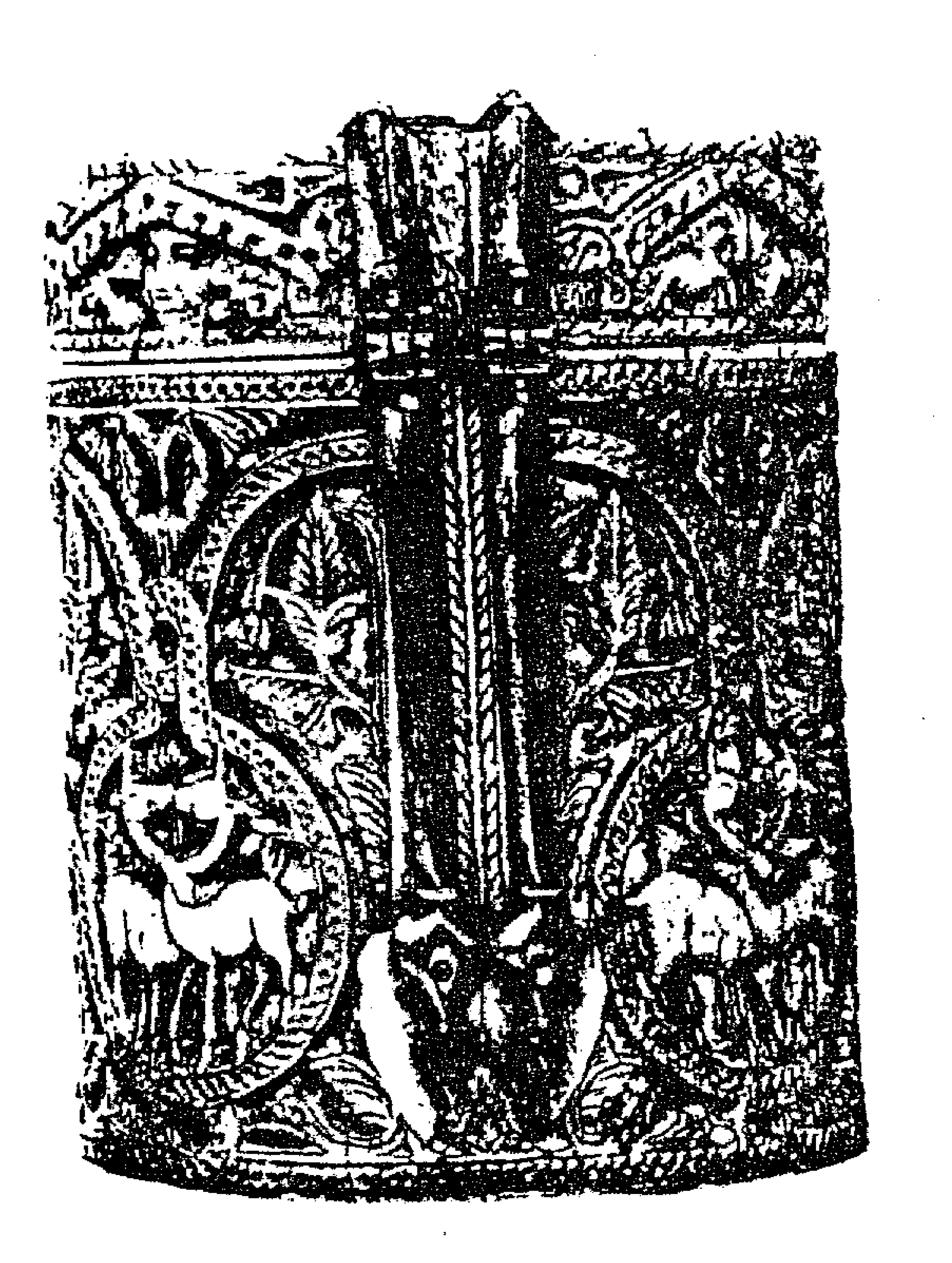
(شكل ١٩) علبة بدون غطاء محفوظة بمتحف اللوفر بباريس



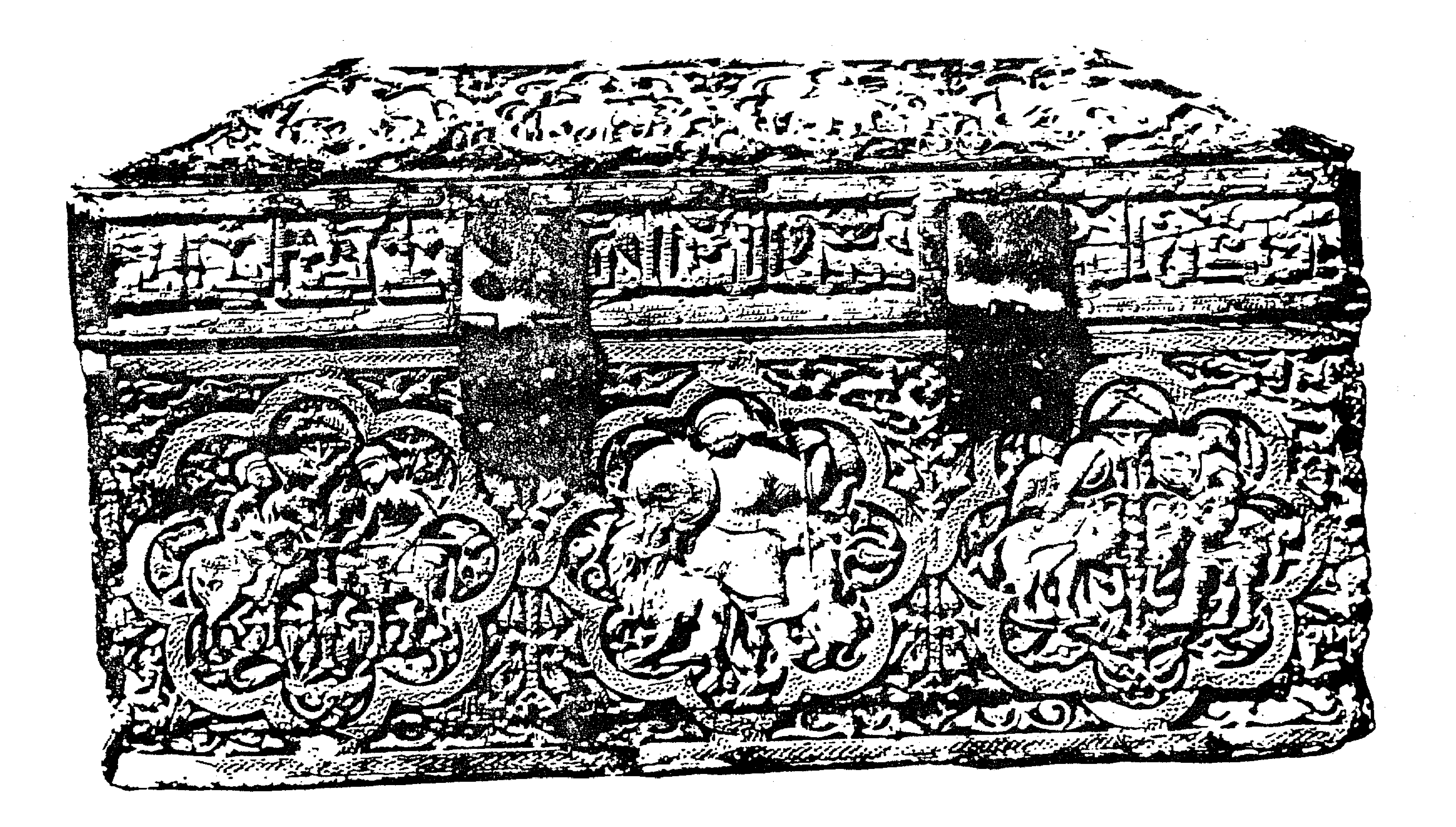


(شكل ٢) جانب من العلبة سالفة الذكر شكل ١٩

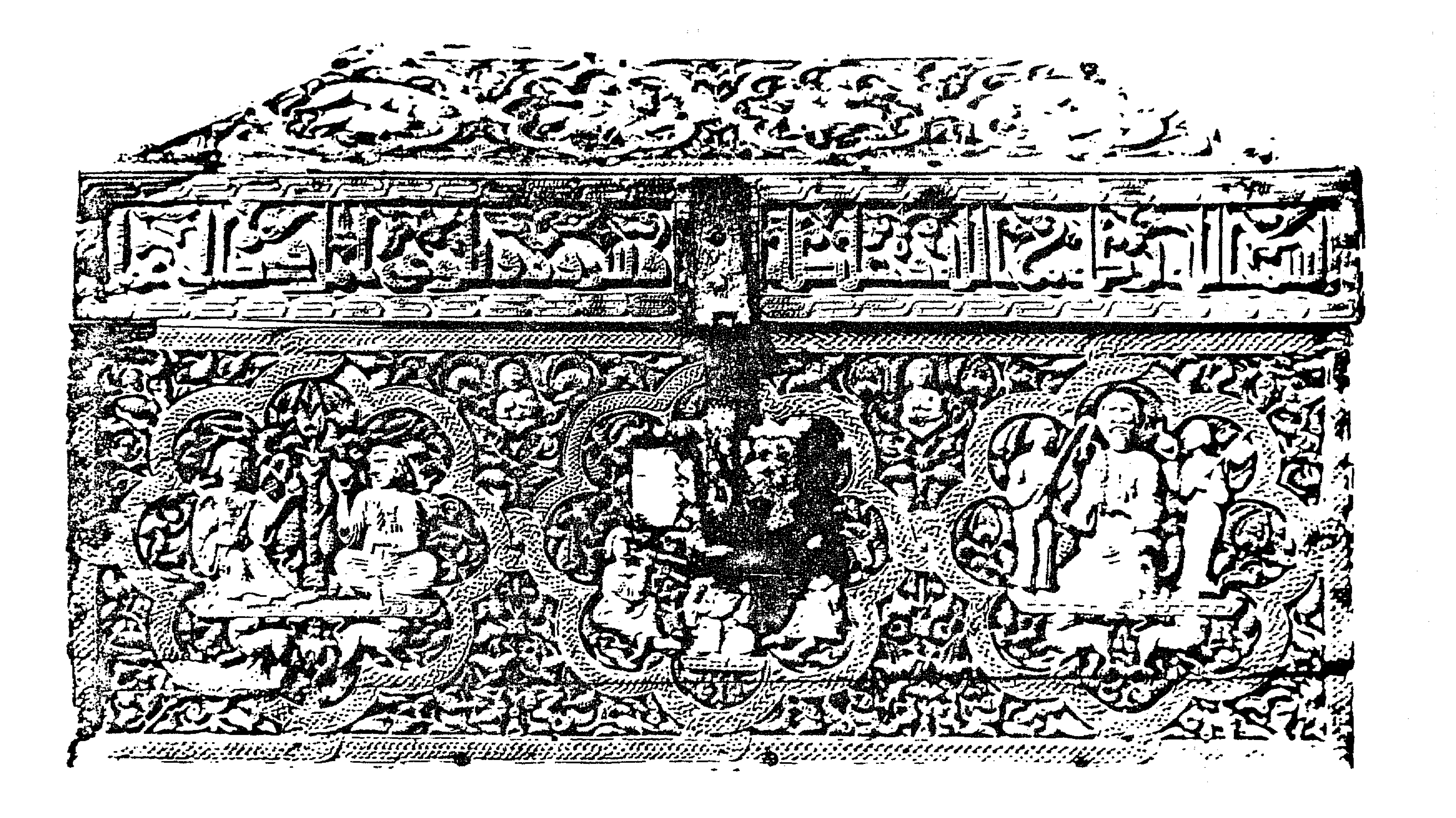




(شكل ٢١) علبة أسطوانية الشكل من مجموعة الكونتيسة دى بيهاج

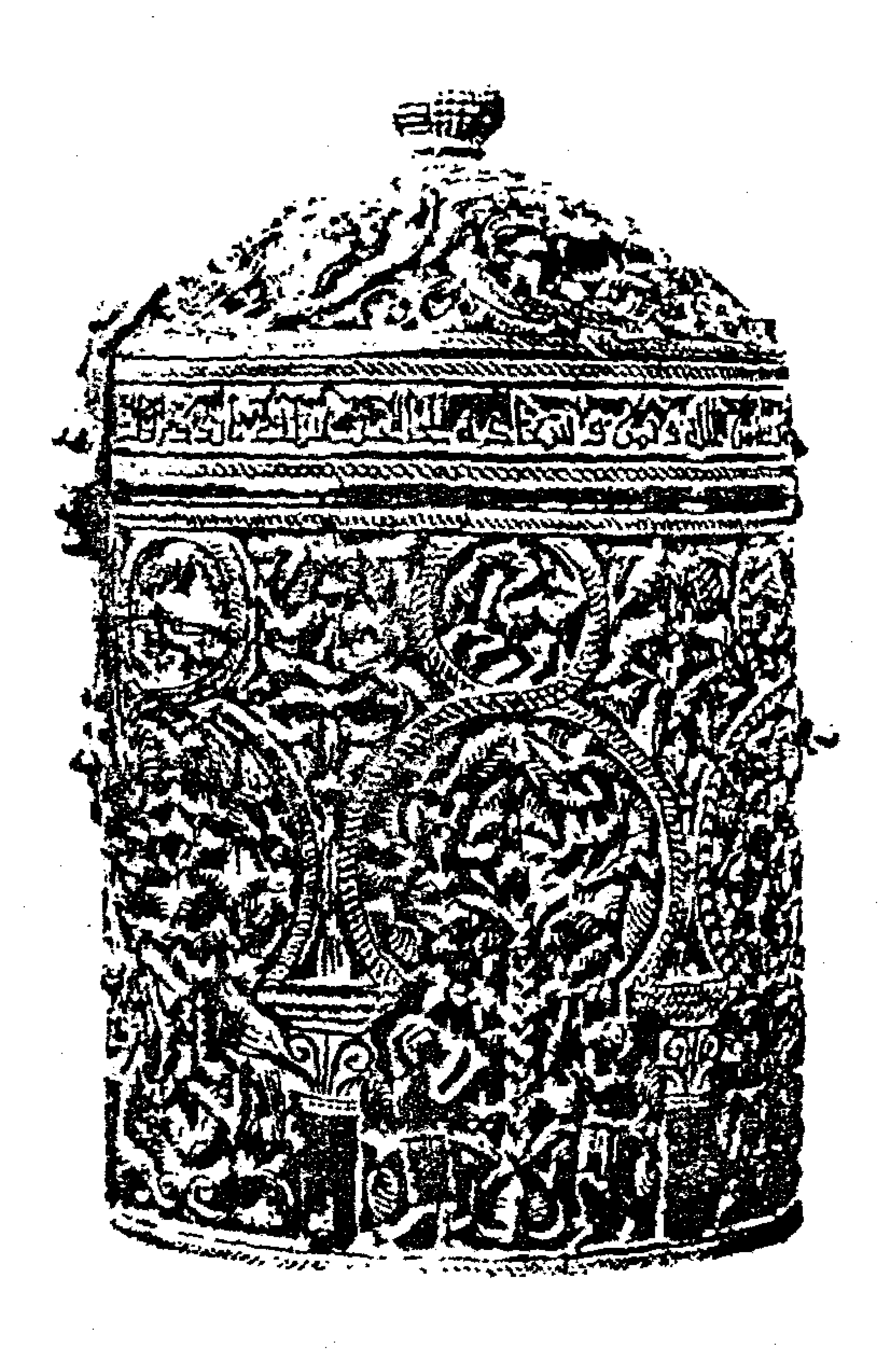


(شكل ٢٢) جانب من صندوق كاتدرائية بنبلونة



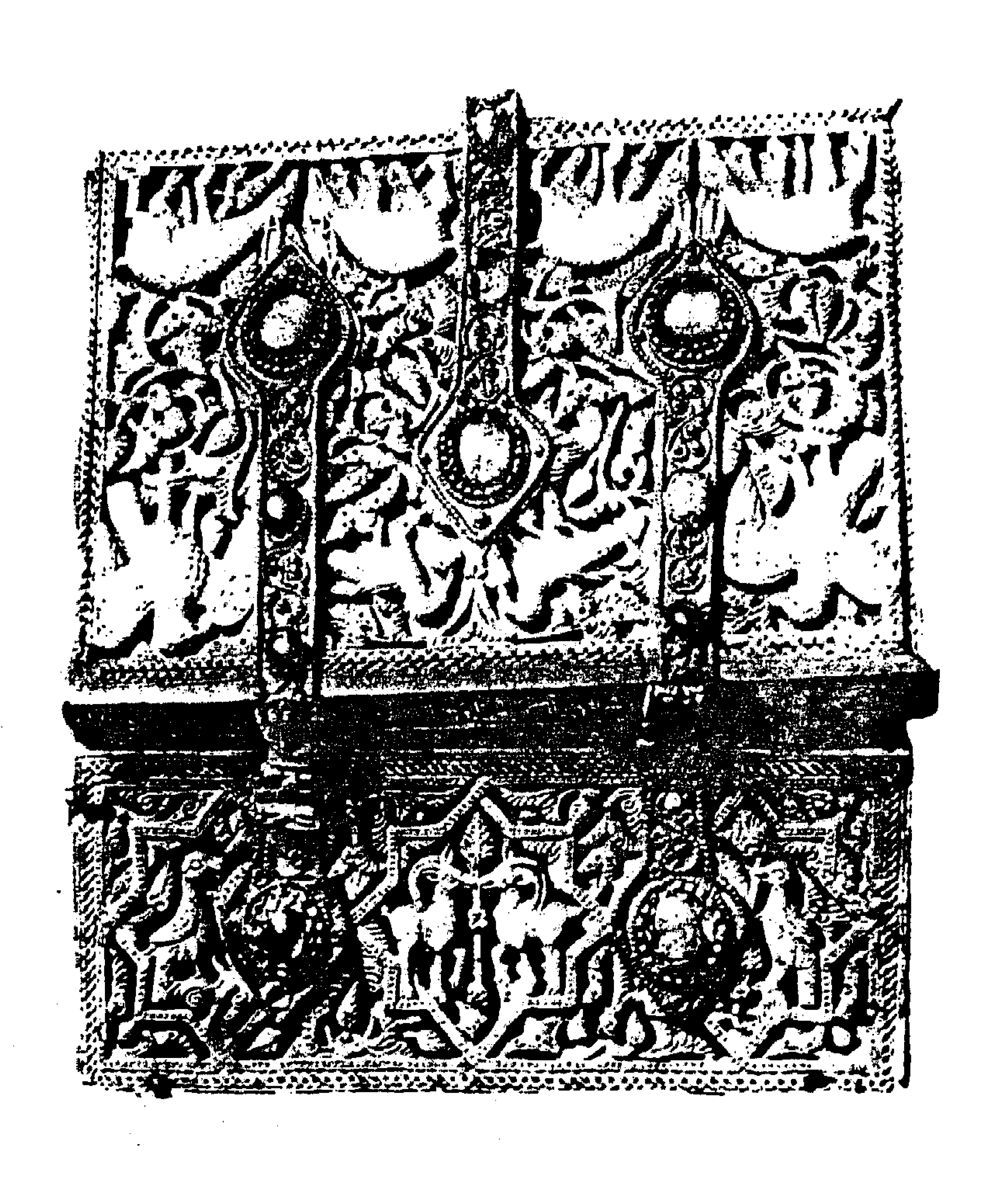
(شكل ٢٣) الجانب الآخر من صندوق كاتدرائية بنبلونه

(شكل ٢٤ غطاء صندوق كاتدرائية / بنبلونه





شكل ٢٥ ا علبة كنيسة لاسيوبيراجا



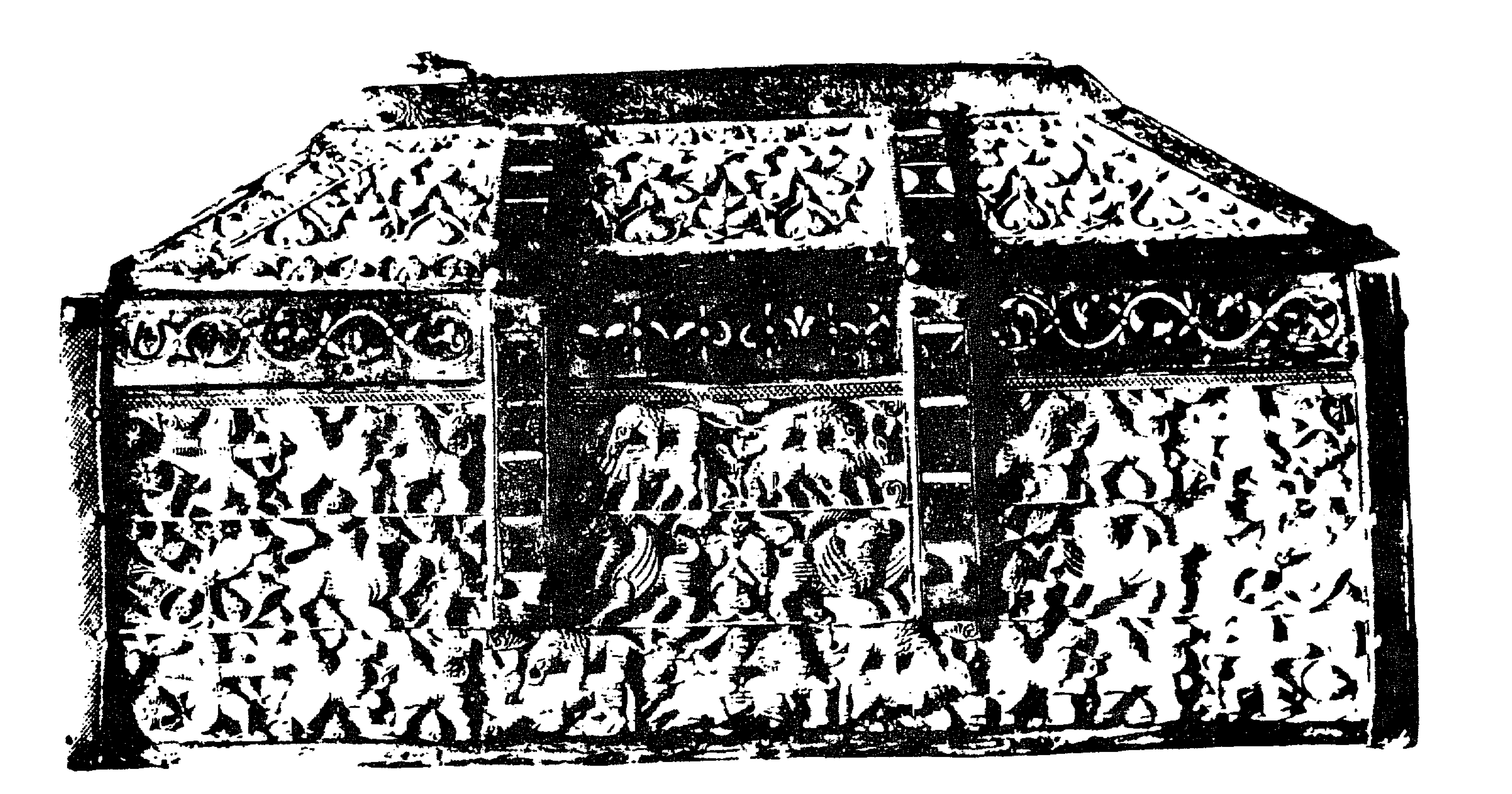
(شكل ٢٦ ؛ صندوق محفوظ بمتحف بارجيللو بفلورنسه



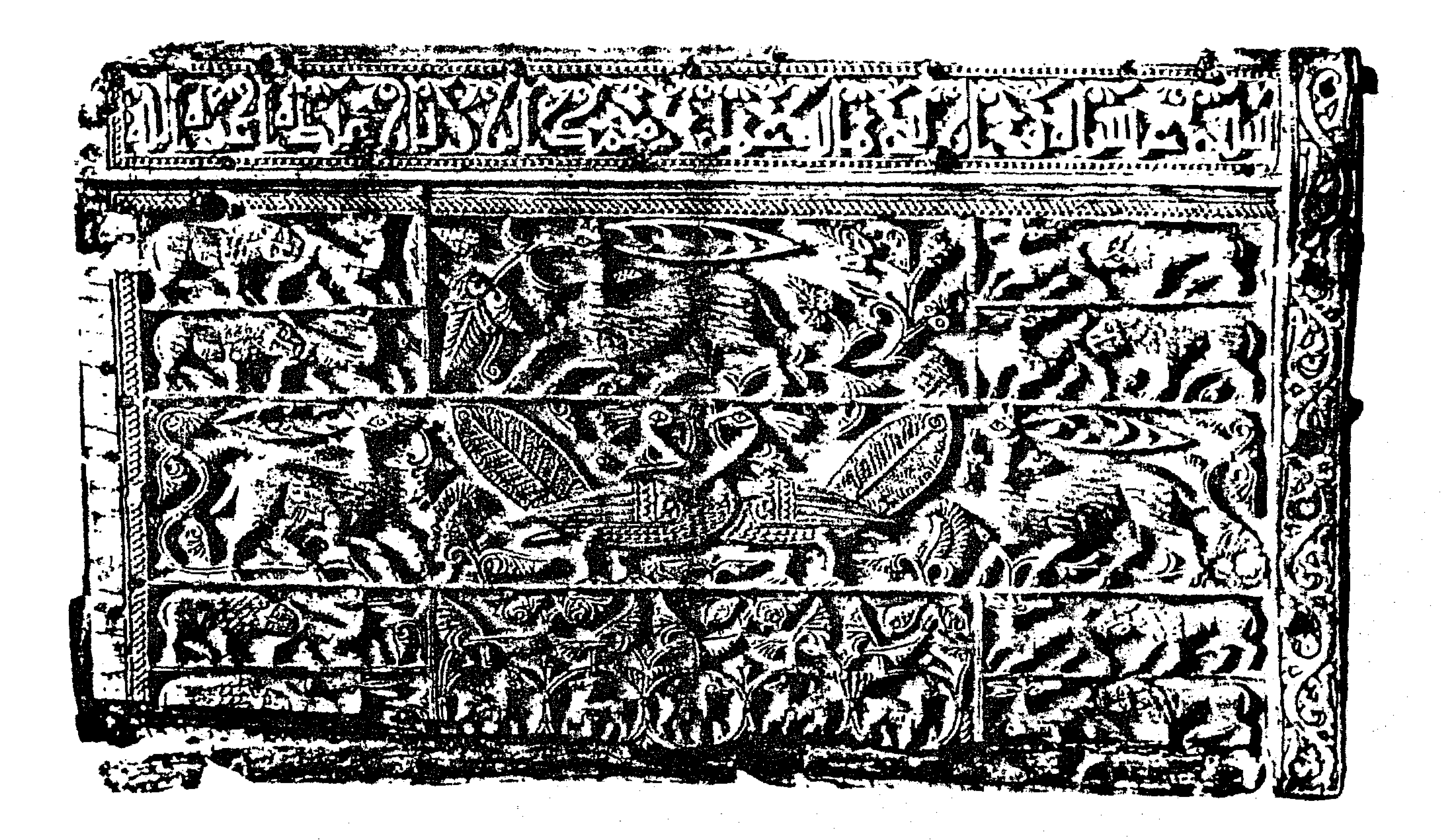
(شكل ٢٧) وجه الصندوق المحفوظ بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن



(شكل ٢٨) الوجه الآخر من الصندوق السابق

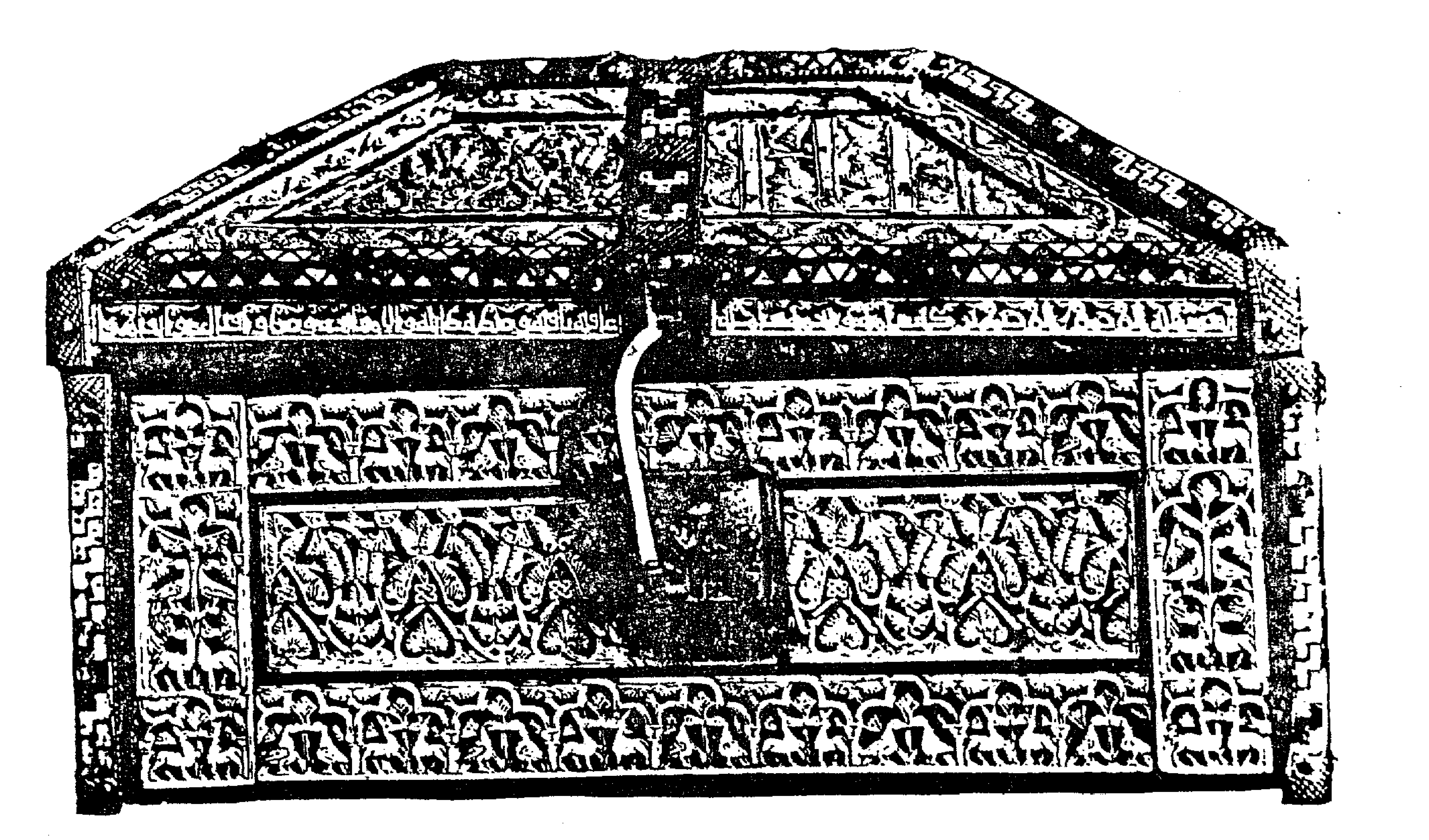


شكل ٢٩ . وجه الصندوق المحفوظ بمتحف برغش

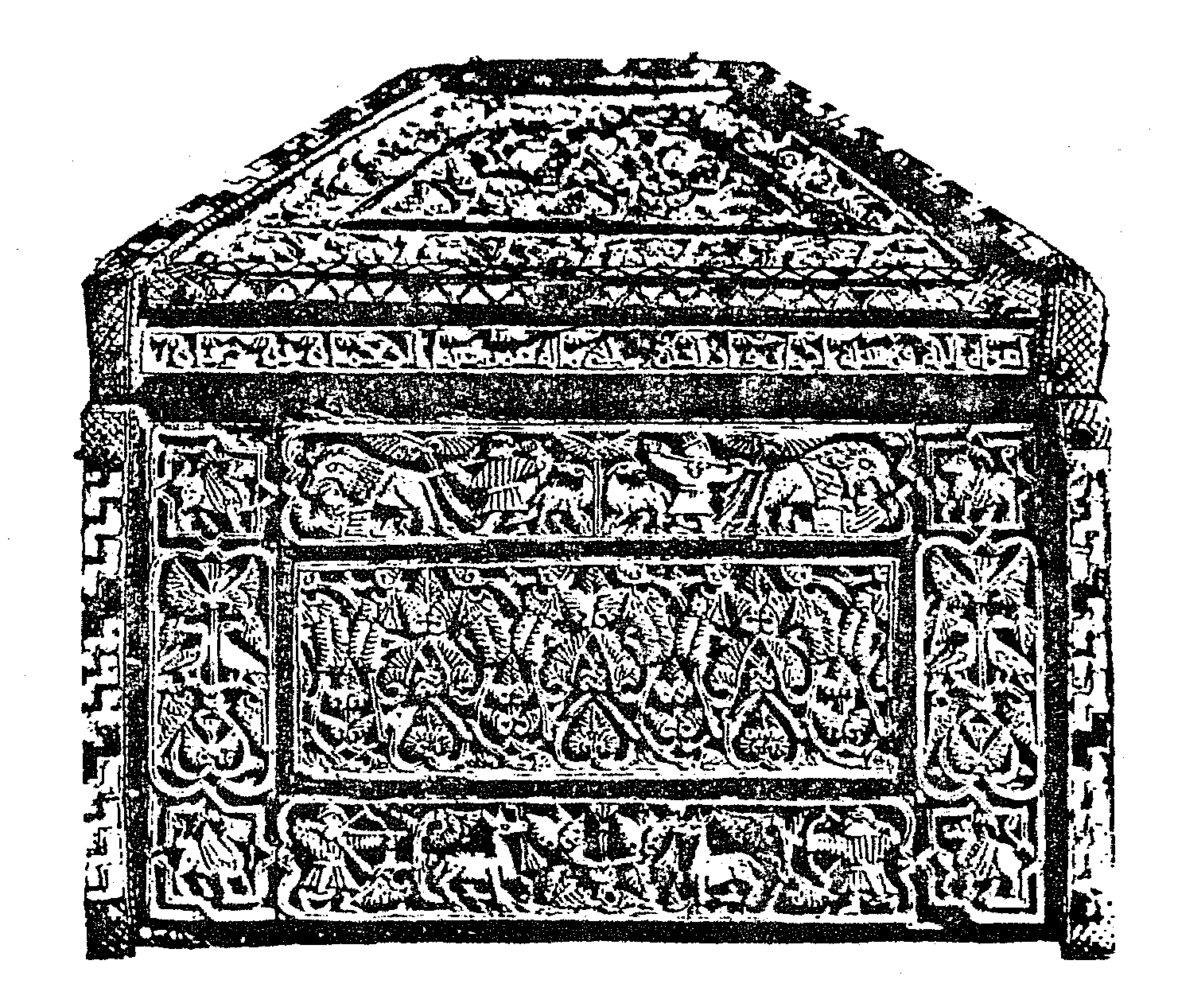


(شكل ٣) أحد الجانبين القصيرين من صندوق متحف برغش

(شكل ٣١) وجه صندوق كاتدرائية بالنسية المحفوظ في المتحف الوطني للآثار بمدريد



(شكل٣٢ : الوجه الاخر للصدوق سالف الذكر



(شكل ٣٣ : أحد الجانبين القصيرين من صندوق كاتدرائية بالنسا

(Costado derecho)





(شكل ٣٤) علبة كاتدرائية سان خوستو بأربوه

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت : ٤٨٣٩٤٧٢